ما قبل الهستريا

د. سالي مجدي

الكنزي
ALKANZY

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

إشراف عام
صبرينة غلمي

الطبعة الرابعة
الكتاب : ما قبل الهستريا
تأليف : د.سالي مجدي
تصنيف الكتاب : رواية
مصمم الغلاف : إسلام مجاهد
إخراج : أحمد عبد الرحمن
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٨٩٤٣ / ٢٠١٧
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6599 - 86 - 4

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01003897918
Alkanzy.co@gmail.com
Facebook.com/Alkanzy.com
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى أميرة عمري أمي الحبيبة

ومؤيدي القوي إبني إياد

إهداء الي إخوتي وصديقاتي حبيباتي

اهداء لكل من كان بجانبي وساعدني بوقته ومجهوده وتشجيعه لكي أجد نفسي من جديد

و إهداء من قلبي لكل من شعرت بفرحه لفرحي كما بكي يوما من أجلي

عندما تجتمع الأميرة مع الفقـــيرة والعجوز مع الصبية والأوروبية مع الشرقية...

عندما تجد الفتاة الكلاسيكية مع الريفية في إنسجام

وعندما يصبح الأسد والعصفور والجنية أصدقاء مع الفتاة المعاصرة وسيدة الأعمال والكفيفة والفاتنة...

عندما يختلط السحر بالواقع

عندما تجد كل هـــؤلاء وأكثر يجتمعون حيـــث إختفت المصالح وإختفت الشهوات وإختفت الحسابات المادية ولم يعد يحكمهم الا المبادئ الإنسانية والرحمة والأمل والحرية والعزيمة والحب والتضحية والإخلاص

عندمـــا تجدهم جميعا قد إتفقوا على أن يعيشـــوا بســـلام وهدوء وبســـاطة لا تلاحقهم الحيـــاة برتمها الهســـتيري الصاخب الشرس

فإعلم أنك تتحدث عن عصر ما قبل الهستريا

عُدت من العمـــل مرهقة للغاية فقد كان يوماً شـــاقاً ..... أخيراً غرفتي ..... إخترت أغنية أم كلثوم هذه ليلتي وأدرتها لا أدري لماذا هذه الأغنية بالتحديـــد .... ولكن وجدتني أختارها بلا تردد ولم أكن أدري أنها حقا ليلتي وإســـتمعت للكلمات ..... وانا اشتاق لاريح علي الذي بدا يصرخ من الالم بعد العمل بعيادتي

هذه ليلتي وحلم حياتي

بين ماضٍ من الزمان وآتِ

الهوى أنت كله والأمان

فإملأ الكأس بالغرام وهاتِ

بعد حينٍ يبدل الحب داره

والعصافير تهجر الأوكار

وديارٌ كانت قديماً ديارا

سترانا كما نراها قفارا

سوف تلهو بنا الحياة .. وتسخر

فتعالى ... أحبك الآن أكثر

هو المساء الذي تهادى إلينا

ثم أصغى والحب في مقلتينا

لسؤالٍ عن الهوى وجوابٍ

وحديثٍ يذوب في شفتينا

إرتديت ملابس النوم وإســـتلقيت على السرير وقرأت جزءاً من كتاب جديد إشـــتريته وأنا عائدة من عيادتي .... ثم أجريت بعض المحادثات الكتابية مع أصدقائـــي عبر الهاتف الصغير الـــذي أصبح نافذتي على العالم بعد ساعات مشحونة بالمرضى والتخدير والجراحات وأنا مستلقية في سريري الدافئ حتى غلبني النوم.....

إستيقظت .....

ولكن ليس ككل يوم أشـــعر بتراخي شـــديد في أطرافي وكأنه قد تم تخديري وفُقـــت لتوي بذلت مجهوداً لأفتح عيـــني..... حتى وضحت الصورة أمام عيني أين أنا؟؟؟؟

ما هذه القاعة؟؟؟

يداي وقدماي مقيدتان بجنازير وأنا جالســـة على كرسي بملابس نومي .... لا أســـتطيع الحركة لقد خُطفت إذن بعد نومي!!!

قضبان حولي؟؟؟؟؟

نعم قضبان حولي !!!!!

ماهذا؟؟؟ إنني بداخل قفص!!!!!!

ولكن بأي تهمة؟؟؟؟ ومتى أصبحت كذلك؟؟؟ وكيف؟؟؟

أمامي أرى الحضور بجلسة المحكمة كلهن من النساء

ولكن ما هذا الكوكتيل الغريب من البشر

فواحدة يدل شـــكلها على أنها أميرة قديمة من القرن ال١٨ بفستانها الواسع وأخرى بائعة متجولة بفستان أسود مستهلك

وأخرى بلباس معاصر مدني ومعها طفلة صغيره شقراء تلهوان بهاتف محمول وتضحكان وهناك ســـيدتان في منتصف العمر تثرثان في الجانب الآخر من القاعة.

وأخرى عجوز ثرية أريستقراطية وصبية شقراء فقيرة تتبادلان الهمس والضحك

وسيدة مسنة تجلس وحيدة بالكاد تتحرك

وهناك فتاة عمياء بفستان أبيض ملطخ بالدماء تبكي

وأخرى شاردة في الفراغ وهي تمسك بأحجار تقذفها على الأرض تارة وتمسح دموعها تارة أخرى.

و فتاة أوروبية بفستان أبيض كلاسيكي وحقيبة سفر وقبعة

وشـــابة بعيون خضراء تمســـك في يدها قناعاً مطاطياً ويبدو عليها الحزن وطبيبة ترتدي البالطو الأبيض معها طفل مريض وأخرى جميلة ترتدي البالطو الأسود وتغطي شعرها الأشقر الكثيف تقف في آخر الغرفة ترمقني وهي تستند الى الحائط وإمرأة شابة تخبئ رأسها في ظهر كرسي أمامها وتســـرق النظرات للجميع بخوف وعصفور يطير بســـقف الغرفة بفرحة كالمجنون.

وهناك أســـد ليس بالصغير ولكن من الواضح أنه أليف جداً ويجلس تحت قدم إحدى الفتيـــات كالقطة ولا يرهب أياً من الحضور

والفتاة الجميلة ذات الشـــعر الطويل التي بجانبـــه تلاعبه ثم قامت لتســـير على سقف الغر.....

ما هذا إنها ليست إنسانة .. بل جنية

صرخت بهستيريا

- (إنتم مين؟... أنا فين؟؟؟؟ أنتوا خطفتوني إزاي من أوضتي؟؟؟؟... أنا ممكن أوديكم في داهية .... أنا لازم أرجع بيتي حالا)

نظرن لبعضهن بفراغ صبر وقالت السيدة العجوز لهن بضحك:

- (يا جماعة دي مش عارفانا هههههههه)

فردت الجنية بغضب وهي تعقد ذراعيها:

- (طبعاً... تعرفنا إزاي!!! ..... بعد ما إتسلت بينا وبأقدارنا وسلت الناس كمان بينا ..... حرقت إللي حرقته مننا وقتلت إللي قتلته ودمرت إللي دمرته ومرضتنا ووجعت قلوبنا بخيانة وتلاعبت بمستقبلنا بسحر وغدر ويُتم ..... وبتنكر الهانم إنها تعرفنا...)

فتحت فمي بإندهاش وإتسعت عيناي

- (أنا!!!!..... إنتِ مجنونة أكيد يا أستاذة إنتِ ..... أنا قتلت وحرقت ودمرت ووجعت قلوبكم!!!! .... آآآه أنا في مستشفى المجانين بقي.... أنا أخري أخلع أسنان أو أحشيها .... أعمل جراحة وأطلع ضرس عقل .... ده لما أقول أنا كده دموية النهارده ... أنا طبيبة أسنان على فكرة مهنتي أضيع ألم الناس مش أوجعهم ..... إنتوا بتتكلموا عن هتلر تقريباً ومش واخدين بالكوا ... واضح إنكم خطفتوني بالغلط ... روحوني بقى وركزوا وإنتوا بتخطفوا المرة إللي الجاية ... فرصة سعيدة)

هنا دخلت في الحوار سيدة أريستقراطية جميلة رشيقة تحمل سيجاراً بين أصابعها وباليد الأخرى أعادت شعرها للخلف وكانت قد إنتهت لتوها من ثرثرتها مع السيدة البدينة التي بجانبها

- (أووووف .... إماتضيعوش وقتها ووقتنا في رغي عندي ميعاد برنامج عالهوا ياجماعة راعوا الوقت أرجوكم أنا مشغولة نحكي قصصنا ليها وهي هتعرفنا اكيد)

لحظة واحدة ..

تذكرتها ..

بل تذكرتهم..

مستحيييييل ..

فجأة إتضحت الصورة وإكتملت رغم أني مازلت لا أريد التصديق

هل سيحاكمونني حقاً كما قالوا ....

تجولت بينهن ببصري ..

نعم انهم هن ..

لا اصدق مايدور بخلدي!!!

وكشريط عرض سينمائي سردوا قصصهن علي التوالي.. واصغيت ..

بداية بالجنية.....

القصة الأولى

الحطاب

في قديم الزمان وفي بلاد بعيدة كان يعيش شـــاب فقير يعمل حطاباً يخرج الي الغابة كل يوم مع شروق الشمس ولا يعود حتى تغيب محملاً بالحطب ليبيعه لأهل القرية ليستدفئوا به ويعيش بمكسبه البسيط.

وذات يـــوم وهو عائد للقرية من الغابة سمع صوت غناء آت من ناحية النهر.. وضـــع الحطب عن ظهره وإتجه ناحيـــة الصوت كأنه ينجذب بقوى خفية لا يدرك ماهيتها .. كان صوت غناء لم يسمع مثله من قبل وكأنـــه يأتي من الجنة ... من عالم آخر ..

إقترب ووجد فتاة غاية في الجمال نائمة على حافة النهر ساقيها داخل الميـــاه تلهو مع بعض الأسماك والحيوانـــات بالورود وهي تغني .. ترتدي فستاناً أبيضاً شـــفافاً بعض الشئ واضح عليه الفخامة مزين بفصوص من الألماس تعكس جميع ألوان الطبيعة حولها .. يغطي جسدها الرشيق المشدود..

وكان شـــعرها الكثيف الناعم مفروداً بعشوائية جميلة ... ويسقط علي ليخفي نصف وجهها المنمـــق .. إقترب الحطاب منها أكثر ...

فإنتفضت وقامت ونظرت إليه بفزع..

إعتذر لها عـــن إخافتها ونظر لوجهها الجميـــل الملائكي .وهي تعيد شـــعرها الي الخلف بتوتر ..

متأكداً أنه لم يرها من قبل في القرية فهذا الوجه إن رآه مرة من قبل لم يكن لينساه أبداً..

ولكن تلك الغابـــة لا يدخلها إلا أهل قريته فـــلا توجد قرى أخرى قريبة من الغابة!!!

جلس بجانبها بود وازاح خفها .. وظلا يتحدثان ويضحكان .. حتى غابت الشمس وإنعكست أشـــعة القمر على النهر فقاما يلهون في الغابة على الضوء الفضي الفاتن..

وأخذتـــه لأماكن جميلة لم يرها من قبل كأنها تدرس مخابئ تلك الغابة ودهاليزها..

مرت ســـاعات وســـاعات وهما لا يشـــعران بالوقت حتى إقترب شروق شمس اليوم التالي فرأى من بعيد مشـــاعل تقـــترب .. إنهم أهل القرية يبحثون عنـــه وينادون بإسمه ..

إنتفضـــت هي واقفة مذعورة وجرت فجأة من أمامه حتى إختفت بين الأشجار الكثيفة في ظلام الليل..

حاول اللحاق بها ولكن دون جدوى....

وجده بعض رجال من أهل القريـــة اللذين خافوا أن يكون قد أصابه مكروه لأنه لم يعد الي كوخه .. ورحل معهم تاركاً قلبه مع فتاة الغابة الفاتنة..

ظل يومياً يدخل الي الغابة باحثاً .. ليس عن الحطب بل عن الفتاة الـــتي لا يعرف لها عنواناً ولا يعرف لها إسماً.. صورتها لا تفارق عينه .. وأصبح عاشقها المجنون

إبتسامتها ..ضحكاتها.. كلامها ..مزاحها ..كل ماحدث في تلك الليلة أصبح هو كل ذكرياته..

ظل يبحث عنها ويصفها لأهل القرية كلهم ربما كانت بنت أحدهم أو هناك من يعرفها ولكن بلا جدوى شهور مرت وهو على هذه الحال حتى إعتقـــد أهل القرية أنه جن من مكوثه ليلاً في الغابة بمفرده لوقت طويل وحدث لعقله مكروه..

وذات يوم وكعادته وهو يحمل الحطب إقترب من النهر عند أول مكان رآها فيه وجلس يحدث الماء كالمجنون:

– (ألم تكن معي يوماً هنا .. إشـــهد أنت أيهـــا النهر... لقد أصبحت كالمجنون .... أشك في عقلي ... لا يمكن أن تكون قد تبخرت ...

لم أعد أرى من نساء الكون غيرها... أبحث عن وجهها في الوجوه .. عن صوتها بين الأصوات... لقد أحببت فتاتك الجميلة ومستعد لدفع عمري ثمن أن أجدها ليلة أخرى إني أحبها بجنون)

شعر بصوت أنفاس مصحوب ببكاء

إستدار فجأة فرأى خيال فتاة تركض

ركض وراءها حتي لحقها, ... إنها هي الجميلة المذعوره

كانت تبكي ....

عاتبها قائلا:

- (لماذا إختفيتي طوال هذه الفترة .... أحببتك رغم لقاءنا لمرة واحدة.. سرقتي قلبي وعقلي وتركتيني)

قالت باكية:

- (وأنا أيضاً أحببتك .... ولذلك كنت أراقبك يومياً طوال الفترة الماضية دون أن تشعر الي أن شعرت بي اليوم ... للأسف)

- (للأسف!!!!!!...أين أنت؟ ... ما إسمك؟.... من أهلك؟... لا تجاوبيني .. لا احتاج اجابات .... سنتزوج إذن .... فأنا أحبك من قبل أن أراك .... كنت أبحث عنك منذ سنوات حتى وجدتك وعرفك قلبي .....لن أجعلك تتركينني أبداً .... فقد أصبحت عالمي وأصبحت أدور في فلكك فانت من روحي)

- (وأنا أيضاً ... لذلك هربت منك .... لأني شعرت بنفس الإحساس المرعب... إنسني وأتركني وأرحل... إعتبرني حلماً حلمته وإنتهى)

فجذبها لتقترب منه وقال وهو ينظر لعينيها:

- (ولكنك واقع .... ها أنت ذا أمامي شحم ولحم ولست حُلماً)

- (بل سأتحول لكابوس إن خرجت من كوني حُلماً)

وإنهارت بالبكاء فقال لها راجياً وهو يمسك يدها:

- (يجب أن أفهم ... أرجوكِ)

نظرت إليه ومسحت دموعها وقالت بجدية وهي ترفع راسها :

- (أنا جنيه .. بنت ملك الجان ... أنا لست إنسية .... أنا جنية.... هل ستظل تحبني .؟؟.. أم ستخاف مني الآن؟)

نظر إليها غير مستوعب فاغراً فاه ... هل الوحيدة التي يدق لها قلبه بكل هذا الحب تكون من معشر الجان!!!!

أمسك يدها ونظر إليها وقال وقد حسم أمره في لحظة :

- (أحبك)

- (أنا جنية ... هذا حب مستحيل لي عالم ولك عالم... لا يمكن أن يجمعنا عالم واحد .. انا جنيه الم تسمع ماقلته !!)

فوضع يده على فمها حتى لا تكمل حديثها وقال:

- (مهما كانت كينونتك .... أحبك يا انتي)

إبتسمت وقالت له:

- (في قوانين عشيرتنا يمكن أن أعيش مع الإنس وأصبح إنسان من طين ولكن ببعض التنازلات .. أو تعيش أنت مع الجان ولكنك ستظل إنساناً بيننا .... بمباركة والدي ملك الجان .... فإختر إما أن تعيش معي زوجاً لإبنة ملك الجان أو أعيش معك في كوخك ولكني سأكون زوجة عمياء .... إنسانة مثلك مخلوقة من لحم ودم ولكن كفيفة)

فكر وقال لها:

- (هل أنتِ مستعدة لتضحي بمملكتك وعينيك وأنتِ جنية لتكوني رفيقة عمري الإنسانة الفقيرة الكفيفة؟)

فقالت وهي تبتسم:

- (مستعدة)
- (وأنا سأكون عينيك ... بل سأجعلك تري بعيني)

إبتســـمت وأخذته من يده وأســـرعا الخطى الى أن وصلا لهضبة بين الأشـــجار وأشـــارت له أن ينتظرها ثم إنشقت صخرة غاصت بداخلها ..

جلس تحت شجرة ينتظرها حتى غلبه النوم

فإســـتيقظ على صوتها مذعورة تناديه وهي تخرج وتحاول أن تمشي وتتعثر وتسقط ...

ورآها وقد خلعت ملابس الأميرات وإرتدت ملابس بسيطة آدمية

وعرف أنها قد فقدت عينيها

عرف أنها أصبحت إنسانة مثله الآن

إنسانة عمياء فقيرة

إحتضنها وأخذها للقرية

تزوجها وعرفها بأهل القرية علـــى أنها فتاة أحلامه التي قابلها منذ فترة ولكنها من قرية مجـــاورة وها هو قد وجدها أخيراً

كانت محبوبة من الجميع..

وجهها الملائكي وطيبتها جعلت جميع أهل القرية يحبونها ويشفقون عليها لفقدانها نعمة البصر..

بالطبع لم تكن تجيد الإعتناء حتى بنفسها..

فكان عليه أن يذهب لعمله ليجلب المال البســـيط ويطعمها ويشربها وينظفها فهي إن تحركت خطوتان وحدها تتعثر وتســـقط

كان في البداية سعيداً جداً بالزواج من حبيبته

فهي طيبة وجميلة ورقيقة ... وإنسانة محبوبة

يوما بعد يوم بدأ يتعب.... بدأ يكره عجزها... نسي مع الوقت أنها أصبحت عاجزة بسببه ولأجله ... لم يعد يتذكر سوى أنها زوجة عمياء....

شعرها الطويل الجميل إهمال الإعتناء به أتلفه

وجهها القمري بدت عليه آثار الذبول

فترتدي ملابس متســـخه وهي لا تراها حتى أنها لا تدري إن كانت جميلة أم لا

وشعرت هي بكرهه لها

شعرت أنها أصبحت حملاً على ظهره

طريقة كلامه معها أصبحت جافة

شعرت بالحب يموت.. بعجزها وحمله الثقيل

كان يشرد ويقول لنفسه

- (مـــاذا فعلت بنفســـي .... أي إختيار هذا الـــذي إخترته ...ها أنا مســـجون مع زوجة عمياء لا تقدر حتى على إطعام نفســـها)

قضت ليلتها الاخيرة باكية منتحبة من شـــعورها بكره الحطاب لها وأخذت قراراً مصيرياً

وفي الصبـــاح طلبت منه أن يأخذها الي الغابة معه ... وتحديداً الى الهضبة أمسك يدها وسندها حتى وصلا للمكان بصعوبة وهي تتعثر في كل ورقة شجر في طريقها أو حجر صغير وقفت وقالت له بعد طول صمت:

- (ســـأعود لعالمي ....كفى بنا الى هـــذا الحد يا حبيبي ... إنه وقت الفراق بدون أذى لي أو لك ..... سأتوســـل لأبي أن يعيدني جنية مرة أخرى ... ســـأتركك لعالمك وأرضـــك ... فأنت إخترت أن تتحمل ما لا تطيقه..... لم تحسب أمر الزوجة العمياء جيداً ....

سـأعود أميرة على مملكة الجان وأنت عد لكوخك وسط الإنس ... وفي المرة القادمة إحسب قدرتك قبل إختيارك ... وبرغم معاملتك القاسيه لي الفترة الأخيرة .... سأظل أحبك مهما حييت)

فجأة أستيقظ حبه لها من سباته العميق في قلبه وقال لها بإستعطاف وترجي ودموعه تسبقه:

- (لا أرجوك ... لا تتركيني سأموت إن تركتني ..... أريد أن أكون معك ... أنني أعتذر عن أي فعل قد آذي مشاعرك ... ضحيتي بعينيك من أجلي ... ضحيتي بسلطانك من أجل حطاب فقير مثلي ... لا تتركيني أرجوك فأنا أحبك ..... لا تتركيني)
- (وأنا لا أريد أن أكون معك زوجة عمياء مكروهه منك .... إننا في منتصف الطريق ..... وكلاً منا سيعود لعالمه بأمان)
- (خذيني معك الى عالم الجن إذن .... فقد قلتِ لي من قبل أني أستطيع أن أعيش معك هناك)
- (هل أنت مدرك لإختيارك هذه المرة؟... إن دخلت عالم الجان لن تخرج منه .... لا مجال للعودة ... إخترت من قبل أن أكون لك زوجة انسيه عمياء ولم تتحملني ولكن فراقنا الآن سيكون بدون أذي... فكر أرجوك هذه المرة لن يكون لها رجوع أو ندم)
- (مدرك ..... إنني أختارك أنت ..... تركت عالمك من أجلي مرة وسأترك عالمي من أجلك ... لن نفترق ..سأموت من دونك)

أمسكت بيده وهي تنظر في الفراغ بعينيها العمياوتان بنظرة كلها خوف منه وتوجس ..... فأخذها في حضنه ليطمئنها

- (أحبك .... أرجوك لا تتركيني)
- (وأنا أيضاً..... للأسف أحبك)

وقفا عند الهضبة التي إنشقت ونزلا الى باطن الأرض سوياً

نيران من حوله في كل مكان

مخلوقات من نار مخيفة من حوله تتراقص

الأرض من تحت قدميه وكأنها تغلي

الحوائط ياقوت أحمر ..... قلبه يكاد يقف من شدة خفقانه

كيف تكون حبيبتة الجميلة الرقيقة كالنسيم مخلوقة من نار كهؤلاء قابلهم ملك الجن الضخم ذو الشعر الأبيض الكثيف الطويل المتدلي على ظهره وسط حراسه الحمر والسود وقال لها:

- (أهلا بك يا إبنتي ... لقد حذرتك من أنك لن تستطيعي أن تكوني من طين وعميـاء ... فأنتِ أميرة من نار ... هذه طبيعتك)

فنزلت على ركبتيها أمام والدها كنوع من الإحترام ونظرت للأرض وهي تقول:

- (أريد أن أعود جنية يا أبي وزوجي الحطاب سيكون هنا معي كإنسان وسط الجان)

نظر إليه بتوجس وقال لها:

- (ولكن زواج الإنس من الجن مكروه يابنيتي .... ووجود إنسان بيننا مكروه ..... كنتِ زوجته كإنسانة من لحم ودم ولكن إذا تحولتِ لجنية مرة أخرى لن يخرج هو من هنا أبداً .... وإن هرب من هنا يوماً ستحترقين أنتِ وتموتين فلا تعرضي نفسك للهلاك وليرحل الى عالمه الآن بسلام)

نظر إليها الحطاب ثم نظر للملك وقال:

- (لن أهرب .... أحبها ... وسأظل بجانبها .. إنه إختياري وأنا رجل مسئول عن قراراتي وأتحمل عواقبها)

نظر إليه الملك بحذر وتوجس ثم نظر لإبنته

وفجأة تحولت لجنية مرة أخرى ولاحظ الحطاب تغير شكلها المفاجئ

لاحظ النور الخارج من عينيها تغير شكل جلدها وبريقه

لقد كانت من طين وعادت من نار عادت لرونقها وجمالها وشـــعرها وملابســـها الثمينة المرصعة بالألماس كإبنة ملك الجان وليســـت زوجة عمياء للحطاب الفقير

شعر بقبضة في قلبه ... إنه وسط الجان الآن .....إن حبيبته جنية حقاً .... من نار ....

سخونة النار حوله في كل مكان

نظرت إليه بعينيها وهي تراه لأول مرة منذ فترة طويلة

إبتسمت له بحب.....

وإبتسم لها بخوف.....

إقتربت من حضنه.....

تراجع خطوات.....

وشعرت بدقات قلبه تعلو لدى لمسها له.....

تراجعت هي خطوات عنه ونظرت إليه بخوف.....

فابتلع ريقه .....

عاشا في قصر ملك الجان

كل مايحلم به يجده أمامه في لحظة

يعيش في قصر يخدمه الجان

ولكنه غير سعيد

بل خائف..... خائف من لمس زوجته الجنية .... عندما عاشت معه في الكوخ كانت إنسانة مثله أما الآن فهي جنية من نار يخدمه الجان ويعيش في باطن الأرض كأمير وينحني له الجان ..... ولكنه أمير خائف مر الوقت وهو يزداد نفوراً منها .... منعزلاً ... لا يختلط بأهلها وعشيرتها من الجن.....

شحب لونه .....

هزل لأنه يخاف حتى من الأكل المقدم إليه

جلس شارداً في النيران التي يراها من شرفة القصر

- (ماذا فعلت بنفسي .... أي إختيار هذا الذي إخترته ... ها أنا الآن إنسان مسجون وسط الجان .... أين هذا الحب ... وأنا أخاف من حبيبتي ... يالي من غبي للمرة الثانية)

إقتربت منه وهي ترى شروده ووضعت يدها على كتفه فإنتفض وإبتعد عنها فمسحت دمعة هربت من عينيها

- (خائف مني؟ أليس كذلك)

سكت ولم يجب و أبعد وجهه بعيداً عنها

- (أخبرتك أني جنية منذ البداية .... أنت من إختار أن أكون إنسانة عمياء وأنت من إختار أن يرافقني الى عالمي وأنا أميرة على الجان .... لماذا لم تتركني وترحل من البداية ... لم أخفي عنك حقيقتي أو أجبرك على شئ؟)

بكت وهو مازال لا ينظر إليها:

فقالت بجدية وهي تنظر الى الفراغ من الشرفة

- (هيا بنا .... تعال معي)
- (الى أين؟)

- (الى عالمك ... هيا ... إحساسي بكرهك لي وثقلي عليك يوما ما قتلني واليوم إحساس خوفك مني أصعب بكثير)
- (ولكن والدك قال...)
- (تعال .... ألا تريد أن ترحل من هنا ....هيا سترحل)

أومأ برأسه ومشي معها حتى وصلا الى دهليز طويل دخلوه حتى شعر بنسيم الهواء الأرضي.....

رائحة الأعشاب...

رائحة النهر .....

رائحة الشجر.....

وقفت وهي تبكي وقالت له:

- (هيا إرحل فالغابة أمامك .... ولكن لتعلم أني كنت أحبك في كل الأحوال حقاً .... ضحيت من أجلك بكل شئ ..... أحبك وأنا عمياء وأحبك وأنا بنت ملك الجان .... وأنت لم تحببني في كل الأحوال فربما كنت تريد إمتلاكي لا أكثر)

وقفت على مدخل الدهليز وهو بجانبها فنظر للأرض وقال لها:

- (هل ستكونين بأمان ... إن خرجت الي الأرض؟)
- (سأكون بأمان إن قررت أن ترحل عني الآن والي الأبد ... تأخر وقت قرارك بالرحيل كثيراً ..... ولكني سأكون بأمان من جرحك لي على الأقل ... الوداع)

خرج من الدهليز الى الغابة وما أن لمست قدمه أرض الغابة حتى سمع صرخاتها ... إلتفت وراءه فرآها تحترق رأى عينيها وسط النيران تعاتبه.... في مشهد لن ينساه مهما حيا

القصة الثانية

الست مصرية

خرجت الســـت «مصرية» من غرفة نومها تجر ســـاقيها كالسلحفاة وبعد مشـــوار شاق وصلت لردهة ذات الأنتريه الأرابيسك المغطى بكسوة من القماش والســـجادة العجمي واللاتي لم يتغيرن منذ زواجها..

وجلســـت على الكرســـي أمام أولادها الموجودين على الأريكة المقابلة لها.. إنهـــا في الثمانين من عمرها وأصبحـــت عاجزة حتى عن الموت

أصبح لديها هاجس أنها ستموت ولن يكتشف جثتها أحد حتى تتعفن ويتجمـــع على رائحتهـــا الجيران ... كانت هذه الفكـــرة ترعبها.... لذلك أعطت نســـخة من مفتاح شقتها لجارتها(ســـلوي) التي من سن إبنتها الكبرى وأوصتها إن لم ترها أو تســـمع صوتها يوماً أن تفتح عليها الباب ولا تتركها لتتعفن وحيدة....

نظرت لإبنتها الكبرى مبتسمة وقالت:

- (صباح الخير يا حبيبة أمك .....يا صغيرتي .....لا تضحكي!.... نعم صغيرتي وســـأظل أدللك حتى بعد أن زوجتِ إبنتك وأصبحتِ جدة.... ســـتظلين طفلتي التي أعشـــق أناملهـــا الرقيقة .... هل تذكرين عندمـــا تقاسمنا في يوم دمائي عندما صدمتك ســـيارة ونزفتِ كثـــيراً وكانت فصيلة دمائنا واحدة؟ ... كنت ســـأموت يومهـــا خوفاً عليكِ وهاهو دمي يجـــري بعروقك الآن ..... فأنتِ جزء مني وأصبحت أنا جزءٌ منكِ .... أتذكر كيف علمتك الكلام والمشي ... كيف كنتِ أجمل طفلة بتلك العيون الزرقاء الصافية التي تشـــبه البحر والشعر الأصفر الناعم كخيوط الذهب.....يوم فرحك أقسم أنكِ كنتِ أجملَ عروسٍ رأتها عيناي .... كان ذلك منذ خمسٍ وعشـــرين عاماً ومن بعدها أخذك زوجك إلى كندا ولم أرك الا مرتين ومكالمة دولية كل حين..

أتذكر يوم فرحك كأنه بالأمس عندما إســـتأذنت «كوافيرك» أن أثبت أنا لكِ طرحة فرحك كما تمنيْت... «وحشـــتيني» يا بنيتي اتمني لو ضممتك ولو لدقيقة واحدة)

ثم نظرت لإبنها الثاني وإبتسمت ومالت برأسها وقالت له:

- (صباح الخير يا جوهرة عيني ... تعال لماما يا قلب ماما....)

ثم إنكسر صوتها وهي تقول معاتبةً:

- (لماذا تركتني ... لقد كنت أحن أبنائي علىّ... لم تكن تنام قبل أن تطمئن أني أكلت وأخذت دوائي الذي أنساه دائما .. هل تعلم؟... أنا لا آخذ أدويـــتي لربما يقرب ذلك الموت مـــني .... كنت أصغر أولادي وأحنهم علي .... أفتقدك جداً ... أنت أجمل حلوى كانت في حياتي .... عشرة أعوام لم أرك فيها إلا ثلاث مرات خلالهم..... لعن الله هذه الغربة التي فرقت بيني وبين فلذات كبدي)

ثم قضبت جبينها وهي تدير وجههـــا عن إبنها الثالث وتقول دون أن تلتقي عيناها بعينه:

- (زعلانة»....«زعلانة» منك «أوي» .... أنت تفعل بي هذا؟! ... ستة أشـــهر ولا أراك؟! .... أنت الوحيـــد الموجود في مصر و«أخوتك» في الغربـــة! .....لماذا تفعل بي هذا؟ ....حتى عندما أتصل بك تغلق معي سريعاً وتقول أنك «مشغول» في عملك وستعاود الإتصال مرة أخرى بي ثم لا تتصل)

تشنجت وكتمت دموعها وهي تقول:

- (أنت دائماً قاسٍ علي .... لكني أحبك مهما قسوت)

كأن شيئاً ما بداخلها أبى أن يتحدث أكثر وكانت تتحاشى النظر إليه منـــذ أن بدأت حديثها معـــه فأكملت بصوتٍ يـــزاوج بين الغضب والحنـــان وهي تنظر إليه أخيراً:

- (أخـــاف عليك لو غضب قلبي منك أن يضع الله القســـوة في قلوب أبنائك عليك .... لذلك أصبحـــت أخاف أن أغضب منك!... لا...لا يـــا حبيبي لســـت غاضبةً منك فليعنـــك الله على عملك وبيتك وأبنائك الشـــباب وزوجتك ووســـع لك في رزقك)

ثم قامت متثاقلة ومسكت قطعة قماش بجانبها وإتجهت نحو الأريكة وأخـــذت تلمع براويز صور أبنائها الثـــلاث التي كانت قد وضعتهم على الأريكـــة المقابلة متجاورين بعـــد أن أنهت حوارها مـــع صورهم جففت دموعها ثم ذهبـــت الى غرفتها زاحفة علي عكازها

***

القصة الثالثة

خلف النافذة

وقفت خلف النافذة الزجاجية تراقـــب الأمطار الغزيرة المنهمرة من السماء وكأن الســـماء الليلة قررت أن تبكي بدلاً منها

نظرت وهي شاردة في هذة اللوحة التي تراها عبر الزجاج

الليل والحقول والقمر والأمطار والحصان الذي يتشـــمم الأعشاب في الأرض لم تكـــن تحلم أبداً أن تنتهي بها الحياة هنا وحيدة . .

حبيسة هذا المنزل البسيط . .

إنها شابة جميلة في ريعان شبابها

ولكن بداخلها يســـكن شبح إمرأة عجوز ماتت منذ زمن إن هذا المكان ليس سجناً سجنها فيه أحدٌ بل هي من إختارته ليكون سجنها خوفاً من الناس، فكفاها من شرهم وأذاهم لها

تذكرت جراحها التي تركت ندوبـــاً بقلبها من أكثر الناس الذين وثقـــت بهم في حياتها وكيف تهربوا منهـــا وأنكروها وكأنها هواء وقت حاجتهـــا إليهم تحملت كره الدنيا لهـــا بلا مبرر كلما حاولت التقرب من الدنيا رفضتها وصفعتها

تعبت من غدر الأحباء قبل الأعداء وإنكســـر ظهرها من هموم الدنيا وقلة الحظ سمعـــت صوت الرعد ورأت البرق الذي أفزعها

ثم عادت لشـــرودها في الأمطار وتذكرت يوم إستقبالها خبر مرضها بســـرطان الدم بعد أن وهنت كثيراً وتركت عملهـــا وأصبحت الديون تلاحقهـــا يوم خرجت من عيادة الدكتـــور لا تعرف كيف تبلغ طفلتها اليتيمة ذات الســـبع سنوات والتي خطف الموت والدها من قبل . . أن الموت يدبر لجعلها وحيدة في هذه الدنيا . .

ليس لها إلا جدها القعيد المســـن والذي بدوره سيســـتقبل خبر موت إبنتـــه الوحيدة وعائلته الوحيده . .

كيف ستبلغهم بالخبر وهي تتخيل كل يوم كيف سيمر عليها بألم المرض الملعـــون وألم نظرات الوداع من والدهـــا وطفلتها وهي تمثل لهم الحياة والقوت والحنان والرعاية

فكـــرت أن تهرب منهم لمكان مهجـــور تنتظر الموت وحيدة حتى لا تؤلم أحداً بموتها

شعرت بألم يعتصر قلبها....

شعرت بإختناق في أنفاسها....

شعرت بتهشم روحها.....

دعت الله أن يقرب موتها ..... فإنتظار أمر محتوم أصعب

مشت وهي شاردة الفكر باكية بدموع أكثر من تلك الأمطار ونزلت عن الرصيف لتشـــعر بنفسها تطير في الهواء وشعرت بسائل لزج يتسرب على جسدها ثم وفجأة

لا شئ .....

لا ألم .....

لا شئ أبداً.....

شعرت أن شيئاً لم يكن

رأت الناس يلتفون حول جسد ملقى على الأرض ويخفونه بإلتفافهم حوله وهم يضربون الكفوف على شـــباب الشـــابة المتوفاة في الشارع بعد أن صدمتها الســـيارة وصراخ قائد السيارة بأنها هي التي كانت مخطئة وشاردة... شعرت بشئ مألوف في هذه الفتاة المغطاة بالدماء واوراق الجرائد

شعرت بالغيرة وتمنت أن تكون مكانها

ومشت كثيراً حتى وصلت لهذا المكان المهجور ودخلت اليه

لم تشعر بألم المرض أبداً منذ هذا الحين

سنوات وسنوات لم تحصاهم وهي حبيسة للبيت المهجور

لا أحد يشعر بها

حتى الموت نسيها ولم تمت بعد

إنفتح الباب فجأة من خلفها ودخل شـــاب وقال وهو يلهث من المطر والبرد:

- (هل يوجد أحد هنا .... يا أهل الدار السلام عليكم)

خافت وركضت الى ركن في البيت فهي منذ سنوات لم تر إنساناً

ولم يكن قد رآها أيضاً ... سقط الشاب أرضاً فقد كان مريضاً للغاية

إقتربت منه خائفة تريد أن ترى ما به وبمجرد أن أقتربت بالشمعة من وجهه .... وجدته ينتفض

ويخرج سريعاً وهو يصرخ:

- (سلام قولاً من رب رحيم ... سلام قولاً من رب رحيم)

ركضت هـــي لنافذتها تراقبـــه وهي خائفة مذعـــورة فوجدت أحد الفلاحـــين كبار الســـن يقترب من الشـــاب ويقول له:

- (إنه بيت مســـكون منذ ســـنوات يا بني بعفريت نرى وجهه من خلف النافـــذة دائماً .... لماذا دخلته يا بـــني .... تعال تعال من الواضح أنك غريـــب عن هذه البلده ...)

وعادت هي لبكائها .....خلف النافذة

***

القصة الرابعة

صبية الدار

كنت أزور داراً لرعاية الأيتام إعتدت أن أقصدها كل فترة لقربها من مسكني كنت أذهب لا لأعطيهم بل لآخذ منهم .... نعم آخذ ..... لا تندهشوا من ذلك لقد أيقنت أنه إذا كان بقلبي أمرُ أريد الله أن يقضيه وييسره لي فسيحدث بزيارتي لهؤلاء الأطفال وبإبتسامتهم يقضي الله فوراً حاجتي وكأنها تأشيرة مرور طلباتي إلى السماء

كانت هناك صبية لم تتعد الرابعة عشرة كنت أراها في كل مرة وتلفت نظري برقتها وإبتسامتها البريئة التي تقذفني بها كالورود وكأنها ملاك دون كلام وتعودت أن تودعني من النافذة الخلفية وأنا راحلة بإشارة من يدها ... وجهها كالبدر وفمها كحبة فراولة صغيرة ووجنتاها بلون الورد شعرها أشقر وجسدها ضئيل كالعصافير

وفي زيارتي تلك دخلت لأسلم على الأطفال وها هي لأول مرة لا تكتفي بالإبتسامة الصافية وإقتربت مني تكلمني

كنت مشغولة بالرد على رسالة على هاتفي أتتني من صديقة عن طريق «الفيسبوك» فقالت لي وهي تسترق النظر للهاتف بإنبهار

- هذا هو (الفيسبوك)؟)
- (نعم انه هو ياجميلتي)

رأيت على وجهها علامة إندهاش ولهفة للمجهول وهي تكتم آلاف الأسئلة ثم قالت مترددة:

- (هل هو غالي)
- (ماذا تقصدين؟)
- (أقصد كم سادفع ان انشأت حساب عليه؟)
- (اااااه .... لا ياحبيبتي .... انه مجاني)

فردت بفرحة وكأنها كانت تخاف أن تكون الإجابة مختلفة:

- (اتمني ان امتلك يوما حســـاب عليه صورتي واسمي كما تمتلكين انتي)

قالتها وهي تضيق عيناها الخضراوتين راجية اياي

ضحكت وقلت لها مشاكسة:

- (كبرتي ياحلوتي وتريدين حساب علي الفيسبوك)

فردت بخجل:

- (اتمني الا تنســـي ان تنشئ لي واحدا اليوم بشرط ان تكوني صديقتي فيه لاتحدث معك واقرا ماتكتبينه فالدار هنا لديهم اجهزة حاسوب متصلة بالانترنت يمكن ان يعطوني ســـاعه كل فترة لاراسلك فانا حقا احبك)

قالتها بفرحة أمل وإبتسمت لي فمسحت على شعرها الأشقر الناعم وقلت:

- (حاضر)

وتركتها وإنشغلت مع أطفال غيرها ولم ألحظ أنها أصبحت كظلي منتظرة وعدي لها حتى ودعتهم لأرحل فوجدتها عابسة وقالت لي:

- (وأنا !!..... نسيتيني!!! .... الفيس بوك)

فقلت لها وأنا على عجلة من أمري:

- (حبيبتي الزيارة القادمه اذن .. لاني تأخرت عن عملي اليوم سانشئ حساب لك اوعدك بذلك ..)

فمدت يدها في جيب بنطالها وهي محبطة وحزينة و أخرجت محفظة ممزقـــة و أخرجت منها صورة فوتوغرافية صغيرة لها وناولتني إياها وهي تقول بيأس:

- اذا وجدتي وقت ارجوكي ضعي لي هذه الصوره بالحساب لاني احبها

إحتضنتها وقبلت وجنتها الوردية النضرة وقلت:

- (أوعدك)

ورحلت وهي تلوح لي من النافذة الخلفية كعادتها بإبتسامتها الصافية البسيطة ووضعت الصورة بالمحفظة في حقيبتي

أخذتني الحياة والعمل وحياتي الإجتماعية وإنشغلت فترة طويلة عن زيارة الدار وبعد حوالي ستة أشهر حدثت لي مشكلة قوية جعلتني أكره الدنيا والحياة وضاق صدري ..... فقد شعرت أن الغدر في الحياة قد أصبح سمة ... نقض الوعود أصبح طبيعياً ... أن يخذل الإنسان الآخر ويخنه ويؤذيه ليقضي مصلحة له أمر سهل ..... شعرت فجأة أني بعالم مليئ بالقلوب الحيوانية القاسية

شعرت بخوف من كل الناس و أني في غابة سيذبحني أي شخص في أقرب فرصة مهما كانت ثقتي فيه .....

وتذكرت.....

تذكرت الدار وأن زيارتهم تريح قلبي وتفك كربي وكنت أعاني من مشاكل صحية وجسمانية نتيجة لحالتي النفسية المتدهورة في الفترة الأخيرة فجررت أقدامي للدار لربما أجد هناك الراحة لقلبي وعلاجاً لنفسي دخلت وجلست وسطهم لأذكر نفسي أن هؤلاء الأطفال همهم أكبر من همي وقبل أن أرحل تذكرت الصبية الجميلة هذا الوجه الملائكي الذي لا يُنسى أبداً .... لم أرها هذه المرة

فإتجهت للمشرفة أسألها:

- (بعد إذنك هناك صبية حوالي ١٢ عام كنت اراها دائما .... اين هي؟)

- (ما إسمها ؟)

- (لا اعرف.. هي بيضاء وجميلة وشعرها أشقر وعيونها خضراء)

هزت أكتافها معلنة أن ما أقوله ليس كافياً

فتذكرت الصورة وفتحت محفظـــتي ووجدتها قد التصقت مع جلد المحفظة لعدم لمسي لها منذ ســـتة أشهر مع حر الصيف وناولت المشرفه إياها بعـــد أن خلعتها بصعوبة فقالت بآه مكتومه:

- (يااااه نهله ..... حبيبتي)

وتناولت الصوره من يدي ورأيت بعينيها دمعة تحاول السقوط

- ... اين هي ؟

- (ماتت من شهرين)

نزلت جملتها عليّ كالصاعقة

- (كيف .... ماتت !! كيف ؟)

- مرضت جـــداً فجأة ..إلتهاب ســـحائي حول المـــخ وتم نقلها الي المستشـــفى وماتت هناك

شعرت بقبضة تعتصر قلبي

شـــعرت بشرخ قســـم قلبي نصفين وألم أشـــد مما كنت أشعر به مع مشكلتي الشخصية

ماتت الملاك

هذة الطفلة التي كانت تحلم من الدنيا بإمتلاك حساب على الفيس بـــوك مجاني تحدثتي منه كصديقاتي نعـــم كانت تلك كل طلباتها وطموحاتهـــا كطفلة ..... حســـاب بإسمها وعليـــه صورتها كم هي بســـيطة وكم كنت أنا بشعة أنانية ....

لم يكن تحقيق حلمها البسيط ليستغرق مني أكثر من دقائق من هاتفي ..... مجرد تحقيقه كان سيسبب لها سعادة بحكم عقلها الطفولي حتى عندما أخذت الصورة لم أسألها عن إسمها فلم أكن جدية في وعدي ونسيته بالفعل ولم أفِ به إستصغرت طلبها وقللت من شأنه ولم أعره الإهتمام رغم أنه بالنسبة لظروفها وسنها حلم كبير وطلب يسعدها وتشبثت بي لتحقيقه خذلتها ونقضت وعدي لها بعد أن وثقت هي بي ليس هذا طبعي في عملي أو حياتي ولكني فعلت ذلك معها غير قاصدة وحرمتها من فرحة بسيطة في عمرها القصير

ألهذا إبتلاني الله!!!

ربما كان السبب نهله؟

إبتلاني الله بمن أثق بهم فيخذلونني وينقضون وعودهم .. أعلق أملي بهم فيحطمون حياتي لأشعر بما شعرت به الطفلة اليتيمة مع إختلاف عقلي وتفكيري عن تفكيرها الطفولي ومشاعرها فتغير حجم المشكلة ليفكل إبتلاء من الله تذكرة ربما تألمت من تجاهلي لطلبها وبكت ودموع الطفل اليتيم كبيرة عند الله

كنت كمن يمشون نياما وحيدة في الشارع الخلفي للملجأ .. لم أنس وأنا في هذه الحالة أن أنظر الى نافذة غرفتها الخلفيه التي نظرت إلي منها آخر مرة .. محملقة بي يغدوها الأمل نظرت الى صورتها الصغيرة بيدي وقلت لنفسي

- (سامحيني عن التأخير ... لن اخذلك ليس هذا طبعي ... سامحين)

رحلت من الدار وحزني قد تضاعف وأنا أتمنى أن أبدل داري بدارها الحالي

***

القصة الخامسة

بائعة الورد

في قلب ليل إحدى الليالي الشتوية الباردة جلست أمام المدفأة تحتمي من البرد و تذكرت .....

إنها لم تنسي قط تلك الليلة ..... ولكنها دوما تتذكرها كان لديها طفل جميل في السادسة من عمره ولكنه مريض كان مريضاً بمرض مزمن وراثي يحتاج لحقنة دواء غالي الثمن مرة كل شهر

كانت تحمل هم تلك الحقنة من شهر لشهر منذ سنوات

وها هي هذا الشهر لم تدخر شيئاً .... فكان عملها في الشارع كبائعة ورود لا يكفي حتى لطعامها هذا الشهر وكان الطفل يلهو حولها على الرصيف الذي إفترشته

كانت تبيع الورود للأحبة وبثمنه ترشي الموت لكي يترك لها طفلها الذي إختفى والده في الحرب .. كانت ترمقه وهو يلعب بحجر في الأرض بوجهه الشاحب المريض يحاول التمسك بطفولته رغم مرضه وقالت لنفسها:

- (يجب ان أدفع للموت غدا كي يتركك لي شهراً آخر ياطفلي.... فأنت آخر خيط يربطني بالحياة .....ماذا أفعل لأجمع هذا المبلغ حتي الصباح .... فإن أنفاسي متعلقة بأنفاسك الصغيرة الحنونة بلمسة يدك الرقيقة آخر الليل وأنت تنام في حضني)

وأثناء تفكيرها فجأة وجدته يسقط وهو يتشنج في الشارع بجوار الرصيف فجرت ناحيته بلهفة و أخذت رأسه على ذراعها وضمته لصدرها وهي تصرخ في المارة حتي ينجدها أحد ولكن لا مجيب

فكلاً يسير في طريقه لا مبالي بآخر

حملته من على الأرض وجرت بإتجاه أقرب مستشفى عام وهي تصرخ فيه:

- (أرجوك لا تتركني يا حبيبي ..... ليس لي في الدنيا سواك .....أرجوك إبق معي فسأوفر الحقنة غداً .. أعطني فرصة ياملاكي ... فقدت

أباك ولم يبقى لي غيرك أرجوك لا تتخلي عني أنت أيضاً ... لا تذهب للموت وتتركني في تلك الحياة اللعينة .... كن رفيقي لا تتركني)

كانت تجري وهي تحمله وتتصبب عرقاً ودموعاً رغم البرد القارس وتقبله كلما أقتربت شفتاها من رأسه .. دخلت المستشفى وجرت تجاه غرفة مكتوب عليها إستقبال بها طبيب نائم على مكتب:

- (دكتور أرجوك إنقذ إبني ..... أرجوك)

قام من نومه متثاقلاً متثائباً وإقترب منها ووضع الطفل على طاولة أمامه وهو صامت عاقداً بين حاجبيه لأنها سبب إستيقاظه وفحصه وسمع منها حالته ثم رن جرساً بجانبه فأتت ممرضة بدينة على عينيها أيضا آثار النوم .. أمرها بنقل الطفل لغرفة مجانية مليئة بالمرضى وقال لبائعة الورد:

- (إن حالته أسوء مما قد وصفتها لي .... لم تعد الحقنة فقط هي مايحتاجه .. إنه يحتاج لعلاج آخر غالٍ بشكل يومي وليس شهريا فقط .... وفي خلال شهر يجب إجراء جراحة خطيرة له.... والحقنة كإنقاذ حياة في الصباح على الأكثر فلا تهملي أو تتأخري ..... سأعطيه علاجاً لإسعافات أولية الآن ستجعله يخرج من الغيبوبة حتى الصباح لا تقلقي ... العلاج أو العملية بالطبع غير متوفرة بالمستشفيات العامة قبل أن تسألي)

لم تكن تتحدث فقط أومأت برأسها وهي متصلبة العين

فما يقوله مستحيل تنفيذه مع وضعها وحالتها المادية .... فقد أخبرها بوفاة طفلها بشكل آخر

ألقت نظرة على جسده الضئيل الملقى على سرير المستشفى وسط الغرفة المزدحمة بالمرضى ..... وهي تقف على باب الغرفة ولم تستطع الدخول

خرجت تمشي كمركب مع الرياح العاتية لا تعرف أين المرسى.... تسير بلا هدف .....

لا تعـــرف الى أين تتجه لتوفر الحقنة في الصباح وبعدها بقية العلاج والعملية إنها تشـــعر بالعجز ســـاعات إذن حتى يموت طفلها حتى تفقد كل ماتملكه من الدنيا ... بل آخر ما تملكه ســـارت وهي تبكي في ظلام الليل شـــاردة لا تعرف ماذا ستفعل في هذا الليل الطويل حتى عادت مرة أخرى الي باب المستشفى وهي لم تكسب قرشا أو تفكر بفكرة تساعدها في حل مشـــكلتها وجلست على باب المستشفى حتى خرج الطبيب مع إنتهاء ناباطشيته فرأها تبكي وتفترش الســـلم كان الطبيب قد الفت انتباهه جلستها على سلم المستشفى وسألها بتعجب:

- (لمـــاذا لا ترافقين إبنك بالداخل يا امرأة ... ولماذا البكاء؟ لقد فاق من غيبوبته الآن وسيأخذ الحقنة في الصباح ويجري الجراحة بعدها ليشفى نهائياً بإذن الله .. لا تحزني هكذا)

نظرت إليه وهي تجهش بالبكاء:

- (لأني أعلم أنه يموت الآن.....

لأنني أعلم أنه ما هي إلا ساعات على فراقه....

لأني لن أستطيع إحضار الحقنة صباحاً ولا أستطع القيام له بالعملية بعدها....

لأني بائعة ورد يا دكتور .... بائعة تفترش الأرصفة.....

لأني أقتله بفقري فلا أستطيع أن أراه الآن لشعوري بالعجز.....

قلة الحيلة .... نعم قلة حيلتي تقتله الآن .....

يحتاج مساعدتي وأنا مكبلة .... لو كنت أماً غنية لأنقذته ... إني أتنفس من أنفاسه ... قلبي يدق بدقات قلبه ... هو كل ما يعلقني بهذه

الدنيا القاســـية .... وها أنا أفقده وأفقد حياتي معه .... ليس طفلي فقط بل هو عالمي... كيف أرافقه وأنا السبب في موته)

ذهبت علامات اللامبالاة عن الطبيب وقال لها مطمئناً:

- (أعدك أن أعود في الصباح وسأحاول أن أفعل مايقدرني الله عليه.... إطمئني وسيكون بخير)

ومسح دمعة فرت رغماً عنه ورحل

مرت ساعات وهي على جلستها حتى إقترب الليل من الإنتهاء

وفجأة سمعت رنين شـــئ يســـقط ..... ورأت إسورة من ذهب تسقط وتجري على حافتها حتى إســـتقرت تحت قدميها

كانت هناك إمرأة تلف جســـدها بشـــال ليحميها من البرد ترتدي فســـتاناً قصيراً تمر من أمامها

إلتقطت الإسورة وجرت وراء المرأة تناديها

- (يا سيدتي .. يا سيدتي لقد سقطت منك هذه الأسورة)

إستدارت المرأة ونظرت لمعصمها ثم تناولت الأسورة وهي تقول:

- (شكراً لك .... إنها غالية جداً .... كنت سأحزن إن خسرتها.... ولكن مابك انتي؟ ... لماذا تبكين في هذه الساعه المتأخرة من الليل؟)

قصت عليها قصة إبنها فردت المرأة

- (إنك جميلة ... جميلة جداً .... تعالي معي وفي الســـاعة المتبقية من الليل سيكون معك ثمن حقنة طفلك و أسبوعان على الأكثر وســـيكون معك ثمن عمليتـــه ... هيا تعالـــي .... جميلة مثلك لا تتحدث عن إحتياج المال وقصر اليد .... أيتها الســـاذجة ســـاعة وســـتحصلين على دخل شهرين من بيع الورد)

وجذبتها من يدها وعبرا الشـــارع وما هي الا دقائق حتى وصلا لباب ملهى ليلـــي فتح الباب لهم حارس أمن مفتول العضلات تكاد ملابســـه تنفجر من عضلاته دخلت لتجد نفســـها تعبر بوابة للعالم الآخر

عالم ســـفلي لم تره من قبل إضاءات ملونة زرقاء حمراء صفراء تغير لون بشـــرة الناس تبعاً لها كالشياطين نساء بملابس تكشف أكثر مما تســـتر يتمايلن بميوعة مع إطلاق ضحكات مجلجلة رجال سكارى

راقصة تتلوى وتحت أقدامها أموال تكفي لعلاج عشرة أطفال كطفلها

مطرب يغني بصوت نشاذ على موسيقى مجنونة لا علاقة لها بالكلمات أقرب للضجيج ولكن الســـكارى لا يســـمعونه إلا ككروان إخترقت كل هؤلاء وهي تتلفت يميناً ويساراً بذهول حتي وصلت مع المرأة لغرفة صغيرة بها حوض مياه ومرآة وأريكة صغيرة ودولاب ملابس أخرجت فستاناً أحمر ضيقاً عاري الصدر وناولتها إياه

خلعت الشال عن كتفها ووضعت باروكة صفراء وطلاء شفاة أحمر وقالـــت لها وهي تنظر إليها عبر المرآة وهي تلف شـــفتيها باللون الأحمر أكثـــر من مرة وبائعة الورد تجلس على الأريكة أمامها

- (إرتـــدي هـــذا الفســـتان واغتســـلي و أمامك عالمـــرآة كل أدوات الماكياج.... ســـأنتظرك بالصالة بالأسفل .... ستكونين الأجمل وســـخطفين الأنظار هيا أسرعي)

وخرجت من الغرفـــة قامت بائعة الورد أمام المرآة ونظرت للفســـتان بيدها خلعت فســـتانها الأســـود وأرتدت هذا الفســـتان الأحمر ووضعت الماكياج وهذبت شـــعرها الناعم القصير

ووقفت تنظر للمرآة

يا!!!!! الله

لم تر نفسها أبداً بهذا الجمال من قبل

لم تر وجهها الجميل ولا جســـدها الرشيق ولا شـــعرها الناعم بهذة الأنوثة من قبل ذلك

إنها ترى نفسها لأول مرة

نظرت طويلا وسمعـــت صوت الضحكات الماجنة تأتي من خلف الباب وصوت الموسيقى المجنونة والضجيج

وقالت لنفسها في المرآة

- (هل أصبح غانية لليلة واحـــدة؟ .... ليلة واحدة فقط لأنقذ حياة إبني!!!!!)

نظرت لصورتها في المرآة طويلا

وأخذت القرار

خلعت الفســـتان الأحمر العاري وإرتدت الفستان الأسود الذي رافقها إفتراش الأرصفة لسنوات دون كلل

غسلت الألوان التي لطخت وجهها وتوضأت لتصلي

ستصلي هنا....

نعم في هذا المكان تحديدا ....

وقالت وهي ساجدة

- (ربي إني لن أغضبك أبداً فالصحة و العمر والســـتر والرزق ملكك أنـــت ..... فكيف أغضبك وأنت تملك ما أريد ....

ربي ســـاعدني وقويني لأخرج من هذا المكان رغم ضعفي وحاجتي ... ربمـــا في دقائق هنا أحصل علي ثمن علاج طفلي ولكني سأخســـرك أنت يارب ....

كـــن بجانـــبي فأنـــا واثقـــة في كرمك لأبعـــد الحـــدود وراضية بقضائك..... فحتى إن تم شـــفاؤه اليوم بهذا المال فسيكبر ليكون إبن الغانية ..... فليمت اليوم وهو إبن بائعة ورد شريفة .... ساعدني يارب فلن أغضبك لأنك ملاذي ومســـاعدي وأنت الكريم القادر على إجتراح المعجـــزات .... إن كان دخولـــي لهذا المكان إختباراً صعباً فســـأجتازه بفضلك ومســـاعدتك وراضية بقضاءك)

وقامت تجري من الغرفة وهي تبكي وتخترق السكارى والغانيات...

تدفع الحارس من على الباب وتخرج وهي تبكي بحرقة خرجت للشارع ووجدت الشمس قد بدأت تشرق جرت الى الشارع تعبره ودخلت المستشفى وإتجهت مباشرة لغرفة طفلها وأخذته في حضنها كان قلبها ينتفض من الألم وهي تقبله بهستريا ففتح الطفل عينه وقال بوهن وضعف:

- (لا تخافي يا أمي سأكون بخير ..... لا تقلقلي فأنا أحبك وسأظل معـــك .. حتى وإن مت فلا تبكي .... ســـأظل بجانبك يا أحن و أطيب أم)

قبلته وضمته وهي تقول:

- (أنا آســـفة يا قلبي .... لو كنت أماً غنية لكنت أنت الآن في صحة أفضل ولكني لا أريـــدك يوما أن تكرهني لفقري وقلة حيلتي)

- (أحبك كما أنت بوردك الجميل والرصيف الذي ألهو عليه بجانبك وحضنك الدافئ آخر الليل .... لا تبكي من أجلي وســـنظل سويا لسنوات قادمة ... ســـأكبر وأكون رجلاً وسأعمل وسأشتري لك بيتـــاً جميلاً بمدفـــأة تحميك من برد الشـــتاء و أعوضك عن برد الأرصفة الذي تحملته من أجلي)

دمعت عيناها من كلامه وقبلت رأسه ومسحت على شعره بيدها

شعرت بيد على كتفها فإستدارت لتجده الطبيب

- (هاهي الحقنة هيا لأعطيها له بسرعة)

نظرت إليه غير مستوعبة فأعاد جملته:

- (هاهي الحقنة الشـــهرية لطفلك .. إنتظرت الشروق بفارغ الصبر كي آتِ لكِ بها ..... وقابلـــت بالصدفة أمس وفي منتصف الليل تماماً أســـتاذي جراح كبير لم أره منذ ســـنوات وحكيت له عن حالة طفلك .... وعندي لكِ أخبار ســـعيدة)

قالت وهي مستبشرة وفرحة:

- (هل تقصد أن طفلي .... سيشـــفى نهائياً ... ســـيعالج!!!! أليس كذلك!!!!!)

- (نعم بإذن الله .... سيشـــفى تمامـــاً ... يعلم الله أني لم أذق طعم النوم بعد أن تحدثت إليكِ وأنا أشـــعر أن قوة خفية تدفعني للتفكير في طفلك .... والأغربَ من مقابلتي مع الجراح هو تعاطفه الكبير وعرضـــه إجراء الجراحـــة بالمجان دون تفكير وأنـــه متكفل بنفقات علاجـــه .. وإنك إن أحببتِ فلك فرصة عمل في مستشـــفاه براتب مجزي بعيادتـــه ..... لا أعلم ان كان طفلـــك يملك قوة خفية تسخر الناس لمساعدته!!!)

فإبتسمت له وهي تقول:

- (ولكني أعرف ما هي تلك القوة الخفية التي جعلتكم تساعدونني.... الحمد لله.... فلي رب كريم)

أفاقـــت من ذكرى هذا اليوم وهي أمام المدفأة على صوت إبنها يدخل المنزل مع زوجته وأبنائه الثلاثة اللذيـــن إلتفوا حولها بفرحة يقبلونها ويحتضنونها

***

القصة السادسة

مابعد النهاية

يحوم حول مكان الجريمة يومياً ..... يخفي وجهه بوشاح خوفاً من أن يراه أحد فيكشفه .

جلس علي أريكة خشبية مخصصة للإنتظار في تلك الحديقة العامة القريبة من المكان المشـــئوم حتى يســـتطيع المراقبة جيداً وكأنه يتلذذ بمتابعة تحلل جثـــة ضحيته أو يتابع ماذا بعد النهاية !!!

و تذكر ماحدث ....

أغـــراه دكانها الصغير وكلام الناس عن مكســـبها الكبير يومياً من تجارتها الرابحة النادرة .. فقد ظهرت في البلدة مؤخراً وحققت شـــهرة سريعة

كانت مريضـــة عجوز خضراء العيون محنيـــة الظهر وحيدة خائفة دائماً من الناس وليس لها أصدقاء ولا يعرف أحد لها أهلاً فكانت ضحية مثالية له

كانـــت تحمل أغراضاً كثـــيرة من تجارتها وعملهـــا بمفردها عند عودتهـــا لبيتها يومياً .... فأقترب منهـــا وعرض حمل حمولتها عنها و مصاحبتهـــا لبيتها فخافت منه في اليـــوم الأول وجرت من أمامه

في اليوم التالي إنتظرها في نفس المكان فكان يعلم أنها ستمر من هنا حتماً في طريق عودتها لبيتها

فبدأ يؤكد لها حســـن نواياه في مســـاعدتها وأنه مشفق عليها فقط لأنها في سن والدته وسألها عن حياتها وهو يعلم أنها عجوز وحيدة .. ثم ســـألها لماذا تحمل كل تلك الحمولة يوميا بمفردها بدون مساعدة من أحد مع سنها الكبير ومرضها

يومـــاً بعد يوم أصبح صديقاً للســـيدة العجـــوز وأصبحت تحكي له تفاصيل دقيقة عن نفســـها تعودت أن يزورها بدكانها ويساعدها في نهار عملها و آخر اليوم يصطحبها الي بيتها ويجهز العشـــاء معها ويأكلانه

سويا وهما يضحكان علي مواقف النهار مع زبائن الدكان وتعطيه نصيبه من عمله معها في الدكان ثم يرحل بعد أن يتأكد أنها لن تحتاج الى شئ آخر وقالت له يوماً وهما يتحدثان أثناء تناول العشاء في بيتها:

- (سيأتي يوم وستعرف عني ما يسعدك ... قريباً ... قريباً جداً)

شعر بالثقة التي وضعتها فيه ولربما كان هو الوحيد الذي تحدثت إليه بهذه الحرارة والثقة في البلدة الريفية الصغيرة

كانت عيناها الخضراوتان المحاطتان بالتجاعيد تلمعان بمجرد ظهوره فعرض عليها أن تجمع ما إدخرته وتصفي تجارتها وتأتي بالمال كله ليديره لها في مشروع كبير ويرحلا من البلده الصغيرة للعاصمة ليعيشا حياة أفضل في المدينة فوافقت وقالت له أنها أيضا ستعد له مفاجأة لن يتوقعها أبداً عند رحيلهما من البلدة أتت إليه بكل ما تملك بفرحة في الميعاد المتفق عليه وجهز هو سكينته وإستعد لينفذ ماخطط له.. منذ شهور وما أن ظهرت حتى هجم عليها وغرز سكينه بقلبها

نظرت إليه بصدمة وكأنها تستحلف القدر أن يمهلها دقيقة لتسأله لماذا فعل هذا بها ولكن لا وقت لهذا الهراء مع الموت .... فارقت الحياة وسقطت فوق دمائها دون كلام أمسك بيدها ليجذبها بعيداً عن الطريق ويخفيها فإنخلع القفاز من يدها

إنها ليست يداً لإمرأة عجوز

إنها يد شابة بجلد مفرود مرن لين

مد يده لوجهها المكرمش و تحسسه فوجد طبقة مطاطية نزعها ليكتشف انه قناع وجه صناعي مجعد مجرد قناع تحته أجمل وجه نضر كبشرة الأطفال أو القمر ليلة إكتماله فك الوشاح عن شعرها ليجد شعراً أسوداً ناعماً كالليل مخبئ تحته مد يده لظهرها ليجد قطعة من الفلين مثبتة على ظهرها لتعطي إيحاءاً بإنحناء الظهر

لقد كانت فتاة شابة جميلة جداً

إنها فقط تتخفي من الناس في هذا الرداء وتمثل المرض وتتحاشي الناس لكي تبعد طمع الناس في شبابها وجمالها و أموالها

لماذا هو بالذات وثقت فيه و أدخلته حياتها وبيتها وعملها ؟

وعدته بأنها أعدت مفاجأة له لن يتوقعها عند مغادرتهم البلدة للعاصمة مؤكد كانت ستكشف له وجهها الحقيقي وشخصيتها؟

انها لحظة تنفيذ الجريمة التي خطط لها هي نفس اللحظة التي وصلت فيها لذروة ثقتها فيه وكادت أن تكشف حقيقتها له أخفى جثتها بين الأشجار شُل تفكيره وهو ينظر إليها متعجباً لجمالها وشبابها ورقتها المضرجة بالدماء

هل أذى نفسه أكثر مما أذاها؟؟؟

هل قتل فرصة قصة حب معها؟

فجأة شعر بأنه نادم لقتل تلك العجوز الصبية ذات العيون الخضراء التي أحبته .. ولكن الغدر الذي خطط له من البداية ألهاه عن إكتشاف هذا الحب في عيونها نظر إليها والدماء على يده تغطيها لربما كانت حياتها مكسباً له أكثر من موتها!!!!!!

ظل ينظر من مكانه لمكان جثتها وهي تتحلل منذ أيام ولن يكتشف موتها أحد بعد الآن فاحداً لن يكترث لإختفاء العجوز الوحيدة المذعورةثم قام ووقف فجأة ومسح دمعة شردت من عينيه ورحل وهو يحكم لف الوشاح ويبحث بعينه في الطريق ويفكر ماذا سيفعل غداً بالمال الذي إستولى عليه منها.

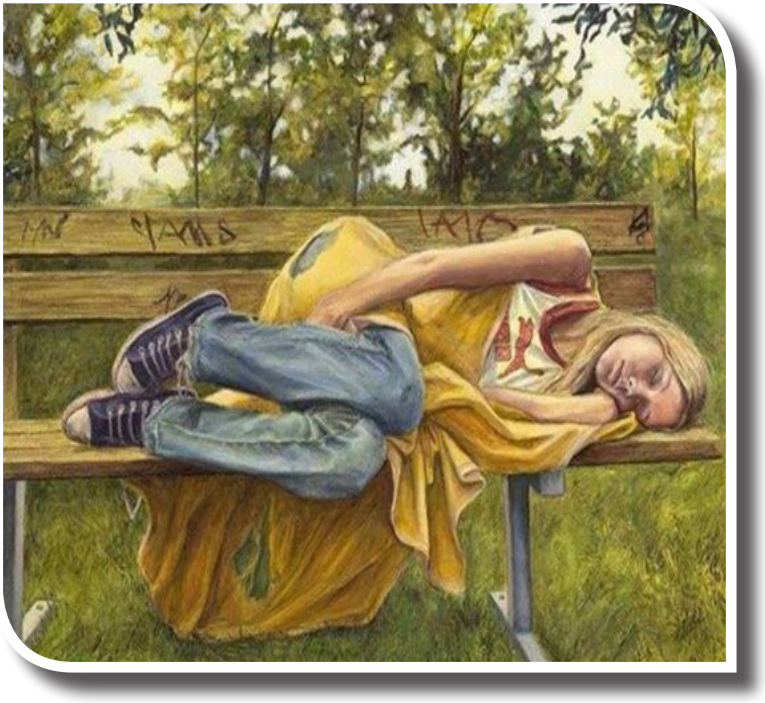

القصة السابعة

تجارة السنين

كانت قمر تسير في الطريق متعبة منهكة جائعة قمر فتاة صغيرة شقراء لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها ترتدي فستاناً ممزقاً أصفر وتحته بنطال جينز ممزق أيضا تحاول ستر جسدها بالمتبقي من الإثنين

الثقب في حذائها ينفذ المياه من الأرض والطين لقدمها الدقيقة الرقيقة .... شعرها الأشقر مبعثر حول وجهها المتسخ ببعض الأتربة مع تلك البقع السوداء علي وجنتها نتيجة الاتربة تسير منذ الصباح حتى آلمتها قدماها

كانت منذ وقت قصير طفلة في دار الأيتام ولكن لأنهم قرروا فجأة أنها كبرت فأطلقوها الي الشارع جمالها جعل كل مساعد طامع فيها فأصبحت هي من تخاف قبول المساعدة ترتعد كلما قابلها الخير خوفا من المقابل الذي ربما يُطلب فلا تصلح أن تكون خادمة لجمالها الفتان لأنه مامن ربة منزل تُدخل تلك الجميلة لبيتها ولا أي صاحب عمل جاد يقبلها لعدم خبرتها بأي عمل وتعليمها الضعيف فهي بالكاد تقرا ..

شعرت أن دقات قلبها التي كانت تنبض بالطفولة وحب الحياة فجأة تنبض لوداع الحياة معدتها خاوية إلا من كسرة خبز وجدتها بالأمس بعلبة للمأكولات الجاهزة ملقاة من أحدهم في الشارع رأت من بعيد أريكة خشبية في حديقة عامة فجرت نحوها وألقت جسدها غير عابئة بأي شئ إلا الراحة كانت تفتقد النوم.....

فنامت بسرعة كمن أصيبت بغيبوبة وهي تضم ركبتيها لصدرها

و أسلمت نفسها لسلطان النوم.....

إستيقظت مفزوعة على سيدة تنكزها بعصا في يدها له رأس أسد كانت سيدة مسنة تمشي تتعكز لمشكلة ما في ساقيها وترتدي ملابس ثمينة باهظة تكشف مدي ثرائها وتضع ماكياجاً وطلاء شفاة أحمر في محاولة منها لتداري عمرها ولكن وجهها المكرمش كورقة كانت بيد طفل لم يتأثر كثيراً بهذا الطلاء فتحت عينيها ودعكتهما وهي تنظر

لها وهي تقلب شفتها فمدت العجوز يدها لوجه الفتاة النضر وتحسسته بيدها المكرمشة الخشنة وقالت:

- (إنتي جميلة أوي .... وصغيرة أوي.... بس فقيرة أوي)

فإنتفضت الفتاة وقالت صارخة وهي تزيح يد العجوز من على وجهها:

- (إنتي مين؟ في إيه ياست إنتي؟ بتعملي إيه؟)

- (أنا يمكن قدرك .... إللي هيغير حياتك .... أنا دولت هانم)

- (تقصدي إيه؟ ومين دولت هانم يعني)

- (تعالي معايا ما تخافيش أنا ست عجوزة زي ما إنتي شايفة مش هأذيكي أكيد)

مدت يدها وسحبتها خلفها وهي تمشي بخطوات مرتعشة إتجهت دولت هانم الى محل ملابس فاخراً ودخلت وإنتقت فستاناً جميلاص وقالت لقمر:

- (إلبسي الفستان ... ما تمشيش معايا بالفستان المقطع ده .... وإختاري حذاء مناسب لرجلك وإرمي القرف اللي إنتِ لابساه ده)

نظرت لها بتعجب وتناولت الفستان ودخلت لترتديه بفرحة وهي تقول بصوت خافت من الخوف

- (شكراً)

ونظرت لها بنظرات ترجوا أن يكون هذا الخير مجرد طيبة قلب أو نذر قديم نذرته عندما تنجح في التخلص من إحدي التجاعيد المحيطة بعينيها ....

فهي رغم سنواتها القليلة في الحياة ولكنها أدركت أن لكل شئ مقابلاً خرجت معها وإتجها لمطعم فاخر بعد أن مرّا على مصفف شعر غسل لها شعرها وصففه ومدت العجوز يدها بكتيب المأكولات وقالت لها:

- (إختـــاري كل إللي يعجبك .... مالكيش دعـــوة بالتمن .. إللي نفسك فيه هاتيه كله)

نظرت إليها وبلعت ريقها بحذر وحضر الطعام .... أطباق لم تتخيلها من قبل .. إبتســـمت وفتحت عينيها عن آخرهما لتشبع نظرها بالرؤية وأنفها بالرائحة الشهية فربما تكون تلك اللحظات من ذكريات عمرها

بعد أن أكلت بحالة من فقدان الزمن والمكان من شـــدة المتعة ودولت هانم تنظر إليها بإبتســـامة غريبة .... أخرجت رزمة من المال ووضعتها على الطاولة وأشـــارت للنادل بأن يأخذ الباقي وقالت لها:

- (تعالي معايا لقصري يا قمر .... عندي ليكي عرض .... بيزنس... تجارة .... بيع وشراء ... هخليكي مليونيرة)

نظرت لها بتعجب وقالت بأســـلوب أقرب لردح الحواري وهي تقف من مقعدها

- (لا لا لاااا كله الا الحرام ..،، ماليش فيه ياســـت هانم .... الله الغني ... كان قلبي حاســـس إن وراكي مصيبة)

فوكزتهـــا بعصاها في ركبتها أفقدتها التـــوازن فكادت أن تقع وهي تســـقط على مقعدها مرة أخرى .. فقالت دولت هانم بصوت منخفض وهي تنظر حولها:

- (حد جاب سيرة الحرام يابنت إنتي .... تعالي و إنتي ساكتة ورايا... إيه الغباء إللي إنتي فيه ده .... فضحتينا)

دعكت بأطراف أصابعها في شـــعرها و مشت خلفها وقلبها قد إطمأن نســـبياً فها هو إحتمال كان يدور بخلدها وضعت عليه علامة بالشطب ولكن مازال هناك إحتمالات كثـــيرة مازالت قائمة .. معظمهم يُدخل الســـجن ومشت بجانبها في إتجاه سيارتها .....

فتركتها مع السائق جلال حتى تشتري بعض الأشياء المهمة التي تحتاجها كان جلال شاب صغير السن وسيم ذو جاذبية .. لمعت عيناه بمجرد أن رآها تبادل معها أطراف الحديث والضحكات وشعرا فجأة أنهما صديقان يعرفون بعضهما جيداً .. وشعرا بسعادة لحديثهما ورغم تأخر دولت هانم إلا أنهما لم يشعرا بالوقت وكأنها غابت لدقائق عادت دولت و جلست في سيارتها الفارهة على الأريكة الخلفية بجانب قمر وكان جلال يبتسم بفرحة .

لاحظت قمر أن نظراته لها في المرآة كانت أكثر من نظراته للطريق نفسه وشعرت بدقات قلبها تتسارع كلما ألتقت عيناهما في المرأة فتستدير بوجهها خجلاً وصلوا الي بوابة قصر كبير ففتح لهم الخدم ودخلت تعبر حديقة طويلة حتى وصلت لهذا المدخل الضخم الرخامي ذو التماثيل على الجانبين وصعدت السلالم ودخلت لبهو القصر الكبير المليئ بالأنتيكات واللوحات العالمية .. إنبهرت الفتاة بما ترى والسيدة العجوز تسحبها لهذا الصالون الضخم الذي من المؤكد جلس عليه نابليون ذات يوم وقالت لها وهي تمد يدها لها بقطعة شيكولاتة سويسرية

- عجبك القصر؟؟؟

سؤالها خطف عيون الفتاة الشاردة يميناً ويساراً بإنبهار

- (ها .... آه ..... جداً ... حلو أووي .... اووي .. يجنن ياست هانم)

إبتسمت دولت هانم وقالت:

- (تحبي تعيشي فيه؟!)

- (ده سؤال .... أكيد ..... أنا بعرف أنظف و أكنس و أمسح وأغس....)

فقاطعتها عابسة وهي تقترب منها بوجهها:

- (تؤ تؤ تؤ .... تعيشي فيه صاحبته ..... مش خدامة ..... إحلمي بـــأكبر من كده يا قمر)

فتحت الفتاة فمها وشهقت من المفاجأة فأكملت السيدة

- (مش بس القصر لو وافقتي خدمي وسواقي وعربيتي هيكونوا ملكك كمان)

أخيراً ظهر صوت قمر المبحوح وهي تقول:

- (بجد .... يعني إزاي؟.... يعني أنا هاخدهم ليه اصلا؟ ..... يعني ..... آآآه .... هههههـــه .....إنـــتي بتهزري طبعـــاً .... تصوري صدقتك .....هههههههه)

فقالت دولت بحزم وهي تأخذ نفساً من سيجار أشعلته وهي تسمعها:

- (يووووه .... ما بهزرش دي صفقة ... بيع وشراء ... مش هتاخديهم ببلاش بس أسلوب كلامك لازم يتغير وتبقي أرقى من كده بكتير أووووي ... سوفاج)

- (بس أنا ما أملكش إللي أبيعه ويكون تمنه القصر والعز ده؟ تقصدي إيه ياست هانم ... عايزه تشتري إيه مني)

- (شبابك)

فتحت قمر فأكملت دولت:

- (شبابك وسنين عمرك الجايه وجمالك)

- (نعم .... إزاي .... دي حاجات مابتتباعش!!)

- (أنا أقدر أشتريهم ... والتمن القصر باللي فيه..... هتبقي أنا)

- (أنا مش فاهمه حاجة!!!!!)

- (إسمعيني كويس ... أنا أعرف ســـاحرة أفريقية إسمها ســـاكوتي قالتلي إذا لقيتِ شابة وأقنعتها تبيعلي شبابها وسنينها بكامل إرادتها

وبرضا كامل هتعمل سحر يخليني آخد جسمك بشبابه بس بشرط رضاكي والتمن يكون عادل ليكي)

- (وأنا آخد جسمك بشيخوخته وأملاكك .... صح!!!)

فقالت وهي تنفث دخانها في وجه قمر مبتسمة:

- (صح ..... أنا هستمتع بشبابك وإنتي بمالي ... قمة العدل)

نظرت إليها وفركت يدها بتوتر وهي تقول:

- (الكلام ده جنان ياست ماحدش بيشتري الشباب)

- (مش جنان .... وافقي بس وهنجرب ..... إنتي مش هتنامي في الشارع وتجوعي وتخافي من الناس على شبابك وجمالك وهتبقي مكاني دولت هانم ..... وأنا هفرح بشبابك وجمالك بفلوسي..... الصفقة محسومة وافقي إنتي بس .. هتبقي إنتي أنا ..... صاحبة القصر والعز)

شردت الفتاة للحظات ثم أشارت برأسها موافقة فمدت دولت يدها سريعا لهاتف بجوارها وإتصلت برقم وتحدثت بلغة غريبة ثم أعطت سائقها جلال ورقة بها عنوان الساحرة ساكوتي وطلبت منه الذهاب إليها وإحضارها وأمرت الخدم وجلال من بينهم بتلبية أوامر قمر من هذه الساعة وتجهيز غرفة لها وأن أوامرها مطاعة كصاحبة القصر إختطف جلال نظرة بإبتسامة الى قمر التي لم تلاحظه من عمق شرودها و شدة تفكيرها وخوفها من تلك الصفقة فإستدار مسرعاً لتلبية أوامر دولت هانم دقائق وفتحت الخادمة الباب لسيدة أفريقية أتت مع جلال أشارت دولت هانم للجميع بالإنصراف ودخلت غرفة مع الصبية والساحرة

أخرجت الساحرة قنينات صغيرة وأخذت تخلطهم في كأس ثم مدت يدها وتناولت يد العجوز وجرحتها فوق الكأس فتساقطت فيه الدماء .. ثم مدت يدها لقمر وفعلت نفس الشئ ورفعت الكأس وأخذت تتحدث بلغة غريبة ثم نظرت لقمر وقالت بلهجة متكسرة

- (إنتو يا بنت موافق على بيع شبابك برضا .. تمن حلو عاجب أنت)

فهزت برأســـها موافقة بعد أن شـــحذت تركيزهـــا لتفهم فناولتها الكأس وقالت:

- (إنتا تشرب من السحر حبه وتدي الباقي للستو هانوم وخد بالك يا قمر حياتكم مربوط ببعض لازم تعيشوا سوا سوا)

شعرت قمر بقشعريرة تسري في ظهرها وقئ من شربها لدماء مخلوطة بمواد غريبة وإنقبضت معدتها .. كل ذلك قبل أن تتذوقه ورفعت الكأس وجرعت منه جزءاً وهي تحاول إمســـاك معدتها بيدها ثم خطفت دولت الكأس من يدها بفرحة لتشرب باقي الكأس كله بإبتسامة ونهم وفجأة

ألم يعتصر معدة قمر قلبها تتســـارع دقاته لتكسر ضلوعها حاولت أن تقف لم تســـتطع وتراخت قدماها تحتها وسقطت أرضاً وفقدت الوعي

فتحت الصبية قمر عيناها فوجدت نفسها في سرير كبير تغوص فيه وكأنه محشو بريش نعام هي من إعتادت نوم الأرصفة وأريكات الحدائق العامة الخشـــبية أصبحت في غرفة فاخرة الى أقصى الحدود .. وكانت مغطاة بغطاء من الحرير فأنتفضت ورفعـــت كفها أمام عينها و أدارته فرأت الجلد المكرمش والعروق النافرة البارزة فجرت نحو المرأة بقدم مؤلمة وركب تصـــدر ضوضاء مع كل حركة فـــرأت عيناها تطلان من وجه دولت هانم العجوز

لقد نجح السحر إذن

لقد أصبحت هي الهانم صاحبة القصر

تقف علي سجاد عجمي فاخر في غرفة من خشب الورد العبق

غرفتها وقصرها وخدمها وسائقها وأموالها .... لقد تمت الصفقة

إنها في أجمل أحلامها

كونها سيدة عجوز لم يكن له أهمية

إبتســـمت بســـعادة بالغة غير ملتفتة للوجه المملوء بالتجاعيد وآلام ركبتها خرجت من باب غرفتها فتقدمت منها خادمة شابة وإنحنت وهي تقول:

- (حمد الله عالسلامه ياست هانم)
- (هو إيه إللي حصلي بالضبط يا أختي)

ترددت الخادمة لحظه وقد شعرت بتدني أسلوب الكلام وقالت

- (الســـت الأفريقية كانت معاكي إنتي والبنت قمر وبعدين حصلكوا إغماء من إمبارح وهي قالت لنا مانجيبش دكتور ونســـيبكم تفوقوا لوحدكوا .... ونقلناكي غرفتك وقمر للغرفة إللي كنتي أمرتي نجهزها ليها قبل وصول الأفريقية)
- (والهانـــــــ .... قصدي قمر بخير؟؟)
- (أيوه هي فاقت من ســـاعة يمكن .... و ما شـــاء الله صحتها بمب ولبست وخرجت كمان من شـــويه تسهر بره)
- (خرجت؟ ....تسهر!!!!... ماتعرفيش راحت فين؟)
- (أكيد جلال الســـواق عارف هو راح يوصلها زي ماحضرتك أمرتي إمبارح قبل إجتماعـــك بالافريقية نلبي كل طلبـــات قمر كإنها صاحبة البيت)

إســـتدارت الخادمة وهبطت الدرج بعد إشارة من يدها بإنتهاء الحوار عادت لغرفة العجـــوز دولت هانم وهي ترفع الحاجب الرفيع المدقوق بلا شعر لتزيد كرمشة جبهتها

- (راحت فين الولية دولت بجسمي!!!)

***

- (تعالي أقعدي جنبي أحسن يا قمر)

قالها جلال السائق وهو ينظر لقمر في عينيها بعشق وكانت ترتدي فستاناً أسوداً ضيقاً و قبعة بتل أسود- موديل فساتين الستينات - وتضع أحمر شفاه أحمر قاني

- (إنت إتجننت إزاي تكلمني كده!! انا قمر هانم ... إلزم حدودك)

- (أنا عارف إنك زي حالاتي غلبانة .... اللبس إللي إدتهولك الهانم ده كان لبسها من أربعين والا خمسين سنة .... لبس شحاته يعني يا قمر ومش لايق عليكي .... صدقيني .. أنا بجد حبيتك وإحنا زي بعض غلابه ..... الحب من أول نظرة ما كنتش مصدقه قبل ما أشوفك .... بس ده إللي حسيته معاكي حسيت إنك مني وأنا منك ما بفكرش غير فيكي من إمبارح ... إحنا شبه بعض أنا ليكي من قبل ما أعرفك .... أنا مش متردد ولا متسرع لما أقولك إني بحبك بجد .. أنا بحبك وانا غلبان زيك وهحميكي)

فقالت بحسم وصراخ:

- (حب ايه!!!! .... إنت إتجننت رسمي .... أنا قمر هانم ... فاهم... سوق بدل ما أقطع عيشك .... أنا صاحبة القصر وصاحبة المرتب اللي بيأكلك عيش ... وإنسى يوم ماشفتني لابسه مقطع .... أحسن لك)

وفتحت باب السيارة الخلفي وأغلقته بعنف وقالت بعصبية:

- (إطلع على أقرب نايت كلوب وسيبني وروح القصر .... هكلمك ترجع تاخدني لما أخلص سهرتي)

سمع جملتها بصدمة كمن صعقه تيار كهربي وإتجه الى حيث أمرت قمر هانم دخلت الملهى الليلي بفستانها الضيق الذي يكشف جسدها الرشيق الممشوق وطلاء شفاتها الأحمر القاني وشعرها المرفوع داخل القبعة الصغيرة وكعب حذائها الذي نسيت إرتداء نصف طوله

منذ إصابتها بخشـــونة الركب

كانت ملفتة بجمالها لعيون كل الشباب ولكنها شعرت بنفور شديد من نظرات الإعجاب تلك إســـتغربت هي شـــعورها بالنفور والإشمئزاز ولكنهـــا الفطرة فطرة عقل وقلب ســـيدة في الســـتينات أمام شـــباب في العشرينات والثلاثينات مدت يدها لكأس نبيذ وضعه النادل أمامها وهمت ترفعه لشـــفاتها فأوقفتها يد أمسكت معصمها بقوة كان رجلاً مسناً في الستين من عمره أبيض الشعر كالقطنة البيضاء مجعد البشرة وجسده رياضي بعض الشـــئ.... وجهه به أطلال شـــاب وسيم نظر إليها بغضب وهو يسحب الكأس

- (إيه إللـــي بتعمليه ده .... إنتي صغيرة أوي على اللبس ده وشـــرب ويســـكي كمان ... إنتي إيه إللـــي جايبك هنا يا بنتي)

للحظه نظرت في عينه وخوفه الممزوج بالغضب والقوة

شعرت بنفسها تذوب في لحظه في هذا الرجل أشيب الشعر

فأكمل الرجل:

- (إنتي مش أكبر من ١٦ ســـنه أبداً ... فين أهلك .... إزاي تلبسي لبس زي ده وماكياج بالشـــكل ده وتسهري في نايت كلوب وكمان تطلبي خمره .. ده تسيب وعدم تربية)

كانت صامتة تنظر إليه مبتسمة تحفظ ملامحه

فأكمل:

- (العيب على البيت .... فين أمك أبوكي جدك أو جدتك)

إتسعت إبتسامتها .. إنه فتى أحلامها كسيدة في الستين

- (مـــش بتردي ليه؟ تعالـــي نخرج من المـــكان ده الأول ونتكلم انا زي جدك)

جذبها من يدها خارجاً بها للشارع وفتح لها باب سيارته وقال:

- (إسمك إيه؟)
- (هاااا ... أنا دولـــــ .... أنا ..... قمر ... ااه قمر ... وإنت؟)
- (قوليلي يا جدو يا بنتي .... أنا جدو عادل)

هنا أفاقت على الكارثه

إنها داخل جسد مراهقة من سن أحفاده

***

علـــي ضوء القمر نزلـــت قمر تلهو في حديقة القصـــر وتقذف مياه النافـــورة ثم تجري ناحيـــة أرجوحة وتلهو بها

ركبتيها لا تساعدانها ولكنها قدر المستطاع تلهو بالحديقة وتضحك

رأت جلال يجلس شارداً حزيناً بجانب السيارة

فإقتربت منه ببطئ وجلست بجانبه وقالت برقة وصوت هادئ

- (مالك يا سيدي ... مين مضايقك؟!!!)

فإنتفض واقفاً برعب:

- (ست هانم...)

فقالت ضاحكة:

- (مالك ... في إيه قولي مين زعلك... وفين قمر)
- (في نايت كلوب وقالتلي أرجع أنا)

فقالت بطريقة ردحها المعهوده وهي تشهق:

- (هاااااا ..... نااعاااام!!!!... نايت كلوب ... يالهووووي.... دي الوليه إتجننت خالص .... إستر يا رب)

نظر إليها بتعجب لطريقة كلامها السوقية الخالية من الأرستقراطية والعجرفة المعتادة والكلمات الفرنسية وقال:

- (أيـــوه هي إتغيرت ... أنا صحيح ماعرفهاش وماشـــفتهاش الا مرة وإتكلمنا قليل بس حسيتها إتبدلت فجأة .... من بنت بسيطة طيبة زي الملاك وجميلة ورقيقة لواحدة مغرورة متكبرة فاكره نفسها أعلى من كل البشر)

إحمرت وجنتاها ونظرت للأرض وهي تقول:

- (والنبي بجد ..... إنت كنت شايفها كده .... إحكيلي هي عملت إيه)

- (ست هانم أنا آسف بس لأول مرة أحس إني مرتاح ونفسي أحكيلك إللـــي في قلبي ... أنا لأول مرة أحس بقلبي بيدق لحد كان لقمر .. حسيت إنها نصي التاني ولما صارحتها بده .... أهانتني أوي)

إبتسمت بخجل وإحمرت وجنتاها المليئتان بالتجاعيد

- (صارحتها .... بجد ... بتحبها !!!!)

- (أوي أوي ياســـت هانم .... بس النهارده قلـــبي قالي مش دي إللي شـــفتها إمبارح وكلمتها إنســـاها .. دي مش ليك)

فقضبت جبينها وهي تقول:

- (بجد حسيت بكده النهارده)

قالتها وهي تذوب في عينيه

فقال وهو ينظر إليها

- (أيـــوه بجد ... إنتي كمان يا هانم متغـــيرة .... عمري ما تخيلت للحظة إنـــي هقعد وأتكلم معاكي كده وبالصراحة دي.. كإنك والدتي أو جدتي ... أنا آســـف طبعا مع حفظ المقامات)

فعقدت بين حاجبيها مرة أخرى وعضت شفتيها وأفاقت للحقيقة

- (عايزه اقولك سر طيب ... أنا.....)

سمعوا من بوابة القصر صوت نفير سيارة فقام جلال ليفتح البوابه فوجد قمر مع رجل عجوز في سيارته أمام القصر ففتح البوابة ونزلت من السيارة أشارت له مودعة وهي مبتسمة وإتجهت شاردة لغرفتها لا ترى سوي عادل ... جدو عادل

***

مرت أيام ودولت هانم العجوز في جسد قمر تقابل عادل يومياً الذي تشعر بالراحة في قربه .. وأصبحت تلاحقه كخياله في النادي وشركته.. وهو أيضا أصبح يبتسم كلما رآها بل ويتلهف للقائها

وفي نفس الوقت قمر في جسد الهانم العجوز وجدت نفسها دائما مع جلال السائق يحكي لها كل ما في قلبه ويجدون المتعة في قضاء وقتهم سوياً يضحكون كانت لأول مرة تشعر بالأمان والطمأنينة

إنها تعرف أن جلال لا يمكن أن يطمع في جمالها أو شبابها الذين إفتقدتهم ولكنه ينجذب لروحها بشكل غريب لا منطقي

إنتقل إعجابه بها كقمر لراحته معها كدولت هانم العجوز التي كان يخافها ويهابها قبل ذلك

***

وذات يوم .....

كان عادل يجلس علي ضفاف النهر وقمر بجانبه تشرب سيجارها وتضع ساقاً علي ساق فشرد طويلاً ثم قال للهانم العجوز روحاً فقط المراهقه جسداً

- (قمر ... في حاجة غريبة حاسس بيها أوي ... لما بتكلم معاكي بحس إنك فاهماني أوي ..... بحس بخبرتك في الحياة .... كإنك شاركتيني نفس الجيل والذكريات .... بحس إننا

متفاهمين أوي وكإن شـــعرك أبيض زي شعري ..... بس الحقيقة بتقول إنك من ســـن أحفادي .. أنا ســـتين سنه وإنتي ١٦ يعني أي مشـــاعر بينا هي عين الغلط .... أنـــا إتجننت ..... دي آخر مرة هشوفك فيها .. أنا راجل عجوز وإنتي بنت صغيرة لازم يكون عندي ضمير وأبعد .... قربت منك علشـــان أصلح تصرفاتك وأتصرفت بغلط أكـــبر ..... الوداع يا قمر)

ووقف ليســـتعد للرحيل فأمســـكت بيده وقذفت سيجارها أرضا وهي تقول:

- (عادل أنا مش صغيرة .. أنا من سنك .. أنا عندي ٦٢ سنه)
- (إنتي شايفاني ســـاذج للدرجة دي!!! ... غلط .... إللي بينا غلط ولازم ينتهي مافيش مجال للتهريج)
- (إللـــي بينا صح .... وأنا مابهرجش .... صدقني أنا مســـحورة .. أنا أصلاً من ســـنك .... أنا أول مرة أحس بحبي لشـــعري الأبيض وتجاعيد وشـــي وخشونة ركبي .. نفســـي أرجع لجسمي الحقيقي)
- (إيه.... إيه إللي بتقوليه ده؟)
- (الحقيقة يا عادل .... ده مش جســـمي ... ده جســـم بنت صغيرة إسمها قمر أنا دولت هانم .... إحساسك بروحي هو الحقيقي .... صدق إحساســـك مش عينك ... أنا هشرحلك كل حاجه .....)

***

قاد جلال السيارة وجلست دولت هانم بجانبه

كان ميعـــاد طبيب عظامها الذي إنتهت من زيارته... وقالت له وهم في طريقهم للقصر:

- (بلاش نـــروح القصر تعالى نروح ملاهي ... والا أقولك تعالى نروح سيما)

قالتها بطفولة لا تليق بهيئتها المسنة

- (نعم!!!! .... ملاهي ... سينما ؟!!!!)

- (آه وإيه المشـــكلة؟ ..... نفســـي أجري و أتنطط وأنا لســـه واخده دوا حاســـه إن ركبتي مش واجعاني أوي.... وكمان بقالي كتير مالعبتش أي حاجة ..... وفرصة اليوم لسه طويل ..... يلا ياجلال بقي علشان خاطري)

فأوقف السيارة ونظر إاليها وقال:

- (أنـــا بحس إنك صغيرة .... بحـــس إنك يمكن أصغر مني وده من أســـبوع بس تقريبا .. قبل كده ماكنتيش كده ياســـت هانم .. كنت بصراحه بخـــاف منك .... ودلوقـــتي .... بحس إني عايز أتكلم معاكي وإنك فاهماني وإنك مســـئولة مني ... فجأة دمك بقى خفيف ... منطلقة .... بســـيطة ..... حســـيت إنك فجأة بقيتي جميلة وصبية رقيقة وطيبة وشعبية من طينتي ... أنا حاسس إني إتجننت خلاص)

نظرت للشـــارع من الشـــباك فأعاد إدارة الســـيارة وإنطلق مســـرعاً لحظـــات.. إســـتدارت وقالت لـــه بعد صمت:

- (جلال إنت لسه بتحب قمر؟ قول بجد؟؟ دي بنت صغيرة وحلوة)

- (لأ .... ماعرفش ليه فجأة بقيت لما بشـــوفها مش نفس إحساسي الأول ..... يوم لما كانت لابســـة الفســـتان المقطع حســـيت إنها نصي.... شـــعوري ليها إختفـــي فجأة وهي بقت شـــخص متكبر مغرور.... والمصيبة إن إحساســـي إتحـــول لـــــــ.....)

- (إتحول لمين؟)

سكت وبلع ريقه فقالت هي وهي تبتسم:

- (ليا أنا!!! صح)

فأوقف السيارة بعنف هذه المرة لجملتها ونظر لها وقال:

- (إيه .... أنتي!!!!..... صح ... بس أنا سواق وإنتي دولت هانم.... أنا عمري ٢١ وانتي فوق الستين ما أقدرش أقول إني منجذب ليكي أو بحبك لأنه هيبقى حب إبن لأمه أو جدته مش أكتر .... رغم شغلي معاكي من ٣ سنين لكن ده حصل آخر أسبوع بس ..... الناس هاتقول يا إما سواق طماع ضحك عالهانم العجوزة أو هانم كبيرة إشترت شباب سواق غلبان والحالتين غلط وما أقبلهومش و إنجذابي ليكي غلط ... دولت هانم أنا هوصلك وأسيب الشغل النهارده ... أنا آسف مش هقدر أكمل)

فقالت له وهي تمسك يده:

- (إسمعني بس ..... يعني أنا لو كنت أصغر كنت هتحبني! لو كنت فقيره كنا هنتجوز!!!)

سكت ولم يرد فقالت:

- (جلال ... إنت مشاعرك إتحولت بصدق رغم شكلي إللي إتحول بسحر وخداع ... إنت ماحبتش جمالي ولا شبابي .. إنت حبيت قلبي وروحي .... أنا قمر إللي قابلتها أول يوم أنا مش دولت هانم أصلاً ... و ما تبصليش كده علشان ده بجد ومش هحلف على فكرة عايز تصدق صدق)

ظل ينظر إليها وهو غير مستوعب للفكرة وإتسعت عيناه عن آخرهما

- (أيوه انا قمر الغلبانه إللي لابسه مقطع ده جسم دولت هانم فعلا..... صاحبة القصر والعربية .... بس بسحر الست الأفريقية ساكوتي إللي جبتها بنفسك إتبدلنا ليلتها .... إنت ماحبتش الهانم بعد ماخدت مني جسمي وحبتني وأنا في جسمها .... مافيش أصدق من كده حب ... أنا ندمانة أوي على الصفقة الغبية دي.... نفسي آخد منها جسمي تاني .... مش عايزه القصر ولا الفلوس أنا

غلبانه وربنا خلقني غلبانه(

- (إنتي فعلا قمـــر البنوتة الطيبة الجميلـــة ... أنا مصدق جدا ... لازم ترجعي زي ماكنتي ..... أيوه كلامك ضحكتك نظراتك كلامـــك وألفاظك كله بيقول كـــده ... قلبي كمان بيقولي كده ... قمـــر إرجعي زي ماكنتي لازم)

- (إزاي؟)

- (أنا عارف عنوان الساحرة .. أنا إللي جبتها لدولت هانم ... يلا بينا نروحلها ونطلب منها تفك السحر وتلغي الصفقة دي بأي تمن)

***

جلست دولت هانم مع عادل في بيت الساحرة

- (ساكوتي .... سي فو بليه إتصرف أنا عايزه أرجع لجسمي)

- (صعبة أووووي ياستو هانوم .... لازم موافقة البنتو الصغيرة ..... ولازم الرضا ..... وبعدها ماضمنش النجاح ده حاجه بإيد رابونا... ده سحر معكوس مش حد لاغي إتفاق)

نظرت لعادل وقالت:

- (البنت فرحانة بالقصر وإنها بقت أنا... شـــايفاها مســـتمتعة جداً ومش هاممها الســـن .... أنا أصلاً ماكنتـــش عجوزة أوي يا عادل وجميلة بردو ..... مش هتوافق ترجع قمر اليتيمة الشحاتة .. ده أنا جسمي بالنسبه لها فرصه)

رن جرس البـــاب فإتجهت الأفريقية لفتح البـــاب المعلق عليه قرنين لحيـــوان ما كانت قمر وجلال علي البـــاب فلم تصدق الأفريقية عينيها وقالت: قمر

- (أبـــوووووس إيييييـــدك ياحاجه يا سمرا يا جميلـــة إنتي رجعيلي جســـمي ..... خشـــونة الركب بهدلتني يا أخـــتي .... دولت دي

كانت عجوزة وكركوبة أكتر ممـــا أنا متخيلة ... وحياة ولادك ياســـت .. ربنا يســـترك ويخليكي ترجعيني تانـــــــ ....)

خرجت دولت هانم من الغرفة التي كانت بها فإســـتطردت قمر وهي تبلع ريقها بعد كلماتها الاخيرة

- (دولت هانم!!.....)

- (أنا كمان مش عايزه جسمك يا قمر مش لايق على عقلي وأفكاري ..... كده متفقين تعالي معايا)

نظرت قمر لجلال وإبتسموا بفرحة فقالت دولت:

- (إتجوزوا وعيشوا معايا في القصر ..... ماعنديش مشكله.... بس المهم نفك السحر إللي واضح إنه أذانا إحنا الإتنين)

عادت الساحرة نفس الخطوات ولكنها إضطربت فجأة وتوترت وظلت تمسك عصاً وتدق على حرف الكأس

تك تك تك تك

تك تك تك تك

- (قووووومي يـــا بنت إنتي .... إيه إللي منيمك في الشـــارع ..... ممكن حد يئذيكي)

كان شاباً عسكرياً في الشارع

وجدت نفسها على الأريكة الخشبية بالشارع بفستانها الأصفر الممزق

فتحـــت عينيها وإســـتغرقت دقيقة لتنتبه للحـــد الفاصل بين النوم واليقظـــة ..... بين الحلـــم والحقيقة ....

العسكري الشـــاب الذي أيقظها هو نفســـه جلال من حلمها فقالت بلهفة :

- (جلال)

- (لا .... إسمي أحمد ..... مين جلال ده؟!)

إنفجرت فجأة في الضحك:

- (هههههههه معلش يا أحمد .... هههههههه .. عايز إيه)

ظلت تضحك حتي دمعت عيناها فقال أحمد:

- (أنا ســـاكن في العمارة دي .. في أوضه فوق السطح وعندي خدمه طـــول الليل هخلص بكره الصبح إطلعـــي باتي فوق مع أمي إسمها الحاجه دولت .. هناك أمان عن الشارع لحد ما نشوف حكايتك .. بس ما تناميش في الشـــارع غلط وخطر عليكي)

- (عارفاها ..... هههههههههههههه إنت أمك ركبها بتوجعها صح هههههههههه)

ضحكت حتي ثنت ركبتيها وأمسكت بطنها من الضحك

فقضب جبينه وهو ينظر في وجهها بدقه وقال:

- (إنتي كويسه!!!!!..... حد مشربك حاجه!!!!!؟؟؟)

أخيراً تمكنت من كتم ضحكاتها ومســـحت الدموع التي إنهمرت من الضحك:

- (لا لا..... كويسه جداااا..... الحمد لله.... أنا قمر)

فقال وهو ينظر لعينيها الزرقاء ويبتسم:

- (إنتي فعلا قمر)

ومشيا في طريق واحد متشابكي الأيدي

***

القصه الثامنة

مبعاد القطار

في الســـتينات بإحدى المدن الأوروبية.. نزلت من السيارة متوترة أمام محطة القطار

نظرت لساعتها ..... إنها السادسة ودقيقة واحدة تأخرت دقيقة عن قطارها حملت حقيبتها الثقيلة وأخذت تحاول العدو بفســـتانها الأبيض والقبعة الكلاسيكية الشهيرة في هذا الزمان وقلبها تتسارع دقاته التي تكاد تمزق ضلوعها إنها تحارب للحاق بذلك القطار

فهي تعرف أنه إن فاتها ستفقد حلم عمرها .... بل ربما ضاع عمرها بأكمله

نظرت الى الرصيف فوجدته فارغاً

لقد رحل القطار

نزلت الدموع مـــن عينيها وألمها قلبها .... فقدت القطار .....وربما إنتهت فرصتها في الحياة

لم تر بسبب دموعها فجوة صغيرة في الأرض فإنزلقت بها

— آآآآآه

صرخت بألم وبكت بحرقة أشد

لقد تمزق جزء من فستانها الأنيق الأبيض الذي كانت تعده لذلك اليوم المميز وإنكسر كعب حذائها العالي وسالت الدماء على قدمها

حاولت الوقوف فلم تستطع من شدة الألم

بكت بحرقة أكبر على حظها

فجأة وجدت يداً تمد لها لتساعدها على النهوض

نظرت فوجدت شاباً يقف مبتسماً ومازالت يده ممدودة ليساعدها

فأعطتـــه يدها وقامت متثاقلة على ســـاقها المجروح وحمل هو عنها حقيبتهـــا دون كلام حتى وصلا الى أريكة خشـــبية على رصيف المحطة وقال لها:

- (لا تقلقي فأنا طبيب وسأنظف لك الجرح)

وأخرج من حقيبة بيده مطهراً وشاشـــاً .. رفعت ساقها وفردتها وهي صامتة أمامها على الأريكة وإنهمك هو في تنظيف الجرح ودموعها تنزل على وجنتيها فقال لها:

- (لماذا كل هذا الحزن على وجهك؟)
- (ضاع حلمي .... فاتني القطار الذي كان ســـيحول مســـار حياتي للأفضل)
- (أي قطار فاتك؟)
- (قطار السادسة مساءاً)

نظر لساعتة وقال ضاحكاً:

- (الساعة الآن الخامســـة وخمس دقائق لم يفت موعدك .. يبدوا أن ســـاعتك غير مضبوطة فأنتظري معي ساعة)

قالت بفرحة:

- (حقاً .... حقاً ما تقول .... لقد أعدت لي الأمل في الحياة بعد أن فقدته .. انها معجزة)
- (الأمـــل موجود دائماً لكننا بيأســـنا لا نراه .. كنتي ستخســـرين رحلتـــك وحزنتِ كل هذا الحزن دون ســـبب .. قطـــارك في إنتظارك)
- (معك حق .. أنا سعيدة جدا الآن .. ومنذ دقائق كنت سأموت من الحزن وسأستلم وأرحل وتضيع فرصتي في الحياة .... لقد ظهرت في

الوقت المناسب. . . . خائفة من أن أكون السبب علي تاخيرك عن قطارك)

- (لا أبدًا أنا أيضا باقي على قطاري تقريباً ساعة وأتيت مبكراً وكنت سأموت من الملل لو لم أجد من يتحدث إليّ تلك الساعة)

مرت دقائق ودقائق وهو يروي لها عن رحلته ومقصده وهي أيضاً حكت له عن الفرصة التي تنتظرها من رحلتها في قطارها وحلمها الذي كانت ستبدؤه في البلدة الأخرى وأحلامها الأخرى كلامه معها أعطاها أملاً في مستقبلها

فقالت له:

- (إن كلامك عن الأمل أيقظ بداخلي أحلام أكثر سأنفذها ... أحلام عن نفسي ومستقبلي ... فأنا أستطيع أن أتقبل ببساطة فقدان شئ برضا وأجبر نفسي على نسيانه وأعيش بدون أحلام أحققها وأنا راضية مستسلمة .. لكن بعد كلامك لن أتنازل عن أحلامي إن فقدت قطاراً فربما ألحق طائرة بعد ذلك .... سأحلم ولن يكسرني فقدان فرصة أبداً)

فرد عليها:

- (الرحلة طويلة أمامك وربما لم تبدأ بعد وساقك ستكون أفضل بعد وقت بسيط .. مجرد إلتواء فربما الأفضل لم يأتِ بعد والأسعد لم تذوقيه بعد .. إحلمي ونفذي أحلامك .. فأنت تمتلكين أدوات تنفيذ الأحلام .. لا تيأسي بسبب موعد لم تلحقي به فلربما يدخر لك القدر موعداً آخر أهم)

إبتسم قلبها قبل وجهها

وفجأة.....

صوت رنين في المحطة يعلن دخول القطار للرصيف

قام هـــو وحمل حقيبته فنظرت إليه ليســـاعدها فســـاقها تؤلمها ولا تســـتطيع وضعها علـــى الأرض فضحك وقال:

- (الى أين تذهبين ....هذا قطاري أنا)
- (وأنا أيضاً ..... فقطاري يصل في السادسة)
- (ولكنها السابعة)

نظرت إليه بتعجب تحاول الفهم فقال:

- (بإختصـــار حتى ألحق بقطاري ..... الســـاعة كانت السادســـة وســـاعتك لم يكن بها عيب .... ولكني أجـــد في الإنتظار مللاً دون رفيق ..... فقررت أن تجلسي تلك الساعة معي لنتحدث وأخترعت قصة الساعة)

تجمدت عيناها للحظات .... ورفعت حاجبيها للحظة أخرى تحاول ان تستوعب الموقف فأكمل كلامه وهي صامتة:

- (بالمناســـبة ..... رجلـــك ليس بها إلتواء بســـيط بل تمزق أربطة وتحتاج جبيرة لمدة شـــهر على الأقـــل ... هههههههه ... إضطررت لخداعك هههههه كم أنتِ ســـاذجة هههههه)

وإستدار ومشى من أمامها بسرعة وهويكمل ضحكه بسخرية منها

فنادت عليه وقالت بتحدٍ وإبتسامة ساخرة:

- (بالمناسبة .... شكراً على الأمل الذي جعلتني أراه بعد يأس و إحباط وشـــكراً على علاجك لجرحي لربما كان تلـــوث لو تركته ينزف بدونك .... لقد إستفدت من دعابتك السمجة أكثر مما تتخيل أنت ..... فبعد شـــهر ستشفى ساقي وسأشتري فستاناً أجمل من

هذا وســـأحجز في قطار آخر وســـأراعي عدم التأخير في فرصة نجاح أخرى أكبر ... شـــكراً لك حقاً أيها الطبيب الساذج)

وإبتســـمت هي بســـخرية منه وأعطته ظهرها و إستندت لترحل من المحطـــة وهو ما يزال ينظر إليهـــا وبداخلها ألف أمل.

القصه التاسعة

عصفور الأميرة

كان يا مكان ....

وفي قديم الزمان ....

وبعيد المكان

وفي ليلة من الليالي المقمرة الصافية الربيعية .. كانت أشعة القمر الفضية ترمي بحبالها على الأشجار والورود والبحيرة الصغيرة بحديقة قصر الملك لتزينه وتضيئه ببهجة القصر الذي يشهد الليلة حفل زفاف ولي العهد و يحضره ملوك من جميع الدول المجاورة وعليةِ القوم والأثرياء

كان الأمير الوسيم سيتزوج من فتاة جميلة إختارها قلبه من عامة الشعب ضارباً عرض الحائط بكل أصول الإتيكيت الملكي ورفض أبيه الملك وكرهه لهذه الفتاة لأنها ليست سليلة الملوك

ولكنه أصر على التمسك بقلبه الذي وجده ينبض بين ضلوعها الرقيقة في غفلة من الزمن

تمسك بحبه لتلك الفتاة بائعة العطور التي رأها في السوق يوما وهو متخفٍ كعادته ليرى الناس البسطاء من قرب ليعرف معني «صعاليك» التي كان يقولها دائما له والده عن أبناء البلد الفقراء

تعرف عليها وهي تجهل أنه الأمير إبن الملك وتعتقد أنه مجرد شاب آخر فقير في القرية

أدمنها وأصبح يستنشقها مع الهواء ... يراها مع كل زهرة تقع عليها عيناه .... عاش معها في عالم كله مرح ومغامرات لم يشاهده ولا حتى في أحلامه .... كل يوم يهرب من القصر ليجلس معها ويشارك أصدقاءها من الشباب الفقراء فرحهم وحزنهم ولهوهم ورحلاتهم للغابة وقفزهم الى النهر من أعلى الشلال وسط تهليل الفتيات وتشجيعهن

قضى أياماً يهرب من القصر متخفياً مع غروب الشمس حتى تنتهي هي من عملها بالسوق ليراها ويعرف طعم الضحك من القلب .. حتى

صارحهـــا بحبه ورغبته في الزواج منها وأنه ذاب عشـــقاً فيها وإنصهر في كيانها وإعترف لها بحقيقته التي أرعبتها كثيراً في البداية .... علمت أنه من المســـتحيل أن يسمح لها الملك بأن تكون ملكة في يوم على البلاد ولكنها قاومت خوفها بحبه لها

كانت فتـــاة جميلة للغاية رقيقة هادئة طيبة كالحوريات بســـيطة ذكية غير متكلفة .. لم تغير من بســـاطتها شـــيئا بعـــد أن علمت أنها ســـتصبح أميرة البلاد زوجة ولي العهد

ظلت تنزل للأســـواق بنفسها في المملكة مع ولي العهد بلا حراسة ولا تخـــف .... وهما يجهزان لحفل زواجهما بأنفســـهما رغم غضب وحنق الملـــك وغضبه الظاهر غير الخفي على أحد

وإتفقا على الإحتفال أولا مع أصدقائهم الفقراء اللذين شـــاركوهم من قبل حبهم وضحكهم ورحلاتهم ومغامراتهم المجنونة .. وكان بالفعل محبوباً هو أيضا من كل شـــباب البلدة .. وقضو الليلة قبل الزفاف في إحتفـــالات في الغابة برقص مجنون علي ضوء النيران مع شـــباب البلدة حتى شـــروق الشمس وهي ترتدي فستان زفاف أبيضاً بسيطاً وهو يرتدي بدلة رخيصة .. ولكنهما شـــعرا بالفرحة تغمر قلوبهما وقلوب كل من شـــاركهما الرقص والعزف والغناء من شيوخ لأطفال لشباب

تذكر كل شـــئ مع أول لمسه من يدها في الحفل الصاخب في القصر وهي ترتدي فســـتان الأميرات ذو الذيل الطويل المرصع بالجواهر وترفع شـــعرها الطويل وترتدي التاج الملكي وهو يرتـــدي البدلة المصنوعة من أجود أنواع الحرير وعليها نياشـــين عديـــدة والتاج الملكي وإفتتح الرقص الكلاسيكي معها وسط الملوك ..

كانت تشعر وكأنها تحلم

فمنذ أيام مضت كانت بائعة فقيرة تحب شاباً آخر فقيراً

وفجأة تتحول لأميرة تحب أميراً وتسكن قصر الملك كالقصص

وبعد أن شاركهم الجميع الرقص الكلاسيكي المنتظم جلسا يتلقيان التهاني بجوار الملك على كرسي العرش فإقتربت سيدة عجوز منهم وهمست للملك الذي إبتسم وتناول من يدها كأساً وقال للأميرة:

- (إشربي هذا ... بالأمر الملكي)

فنظرت إليه مبتسمة وشربت الكأس جرعة واحدة ولكن الأمير ظل ينظر لوالده بخوف فقلبه يحدثه أن مكروها سيحدث

ضحك الملك مقهقها وقال لهما:

- (ستقسمون بأن هديتي مختلفة ... إن ماشربته الأميرة الآن هو شراب سحري صنعته الساحرة العجوز قد ربط حياتها بحياة هذا الكائن الذي لايوجد له شبيه على وجه الارض)

وأشار بيده فإقترب الخدم وسط المدعوين يحملون قفصاً مغطى بقطيفة حمراء على صينية ذهبية

قام الأمير يجري تجاه القفص ونزع الغطاء ليجد بداخله عصفوراً أحمر بأجنحة زرقاء وذيل أخضر ورأس بنفسجية

فصرخ في والده الملك وسكتت الموسيقي وسط ذهول الحاضرين:

- (أبي إنك تعلم أن العمر الأقصى لأي عصفور منذ ولادته أربع سنوات أو خمس على الأكثر .. مالذي فعلته بنا ليلة زفافنا ... وأي سحر ملعون فعلته بنا)

قامت الأميرة أومسكت يده وقالت له وهي تمسح دمعة نزلت من عينها:

- (إهدأ يا أميري ... سأعيش حتى يموت العصفور ... أنا راضية)

ونظرت للملك وإنحنت له وقالت:

- (شـــكراً جلالة الملك ... فلن تجعلني أعيـــش كثيراً حتى يكرهني الأمير ... سأموت شابة بكامل رونقي وجمالي وفي قمة حبه لي وحبي له ... حتى إن زوجته بأخرى من ســـلالة الملوك فإعلم أني سأعيش بقلبـــه مهما حيا كحبه الوحيـــد .... فحياتي الحقيقية مرتبطة بقلـــب إبنك لا بقلب عصفور غريب الألوان)

إحتضنها الأمير وترك القاعة مســـرعاً وهو يلف ذراعه حول كتفها ويضمها بقوة وكأنه يحاول أن يخبئها من الجميع خلف ضلوعه ويحمل باليد الأخرى القفص وبه العصفور ذو الألوان العجيبة

عاش الأمير والأميرة في قصر صغير على أطراف البلدة بعد أن خصص غرفة للعصفور وأحكم ضبط جوها دافئاً شتاءاً وبارداً صيفاً وخصص من الخدم من يجلس أمامه لمراقبة أكله وسعادته وصحته وطلباته يومياً .. ويأتي بطبيب كل أســـبوع للإطمئنان علي صحته فعمر زوجته وحبيبته إرتبط بهذا العصفور الصغير بسحر أسودٍ ملعون

مرت أربعة أعوام وكانت الأمـــيرة متجاهلة أمر العصفور وتجاهلت حتى الإقتراب من غرفته أو الســـؤال عنه طوال هذه المدة وقد رزقا بطفل جميل أصبح عمـــره ثلاث أعوام الآن ولكنها كانـــت تعرف أنها تخطت متوســـط العمر الطبيعي لأي عصفور وأنه على وشك الوفاة

كانت تعرف أن عصفور عمرها من المؤكد ســـيموت بالشـــيخوخة خلال هـــذا التوقيت فلن يعيش أكثر خصوصـــا أنها لمحت من الصباح حركه متوترة بغرفته والطبيب يدخل مســـرعاً

نزلت لحديقة القصر متجاهله التوتر بغرفة العصفور وجلســـت على مســـطح رخامي بارد ترمق النافورة الراقصة على ضوء القمر المكتمل

فجاء الأمير من خلفها وجلس وضم رأسها الى صدره وقبل شعرها

كان يعلـــم فيما تفكر الآن فقالت بهمس وهـــي تقبل كفه بدورها وتحتضنه:

- (عشت معك أجمل سنوات عمري يا حبيبي وأميري ... رغم قصرهم ولكن بسعادتي فيهم وكأني عشت مئة عام)

فوضع إصبعه على شفاهها لكي لا تكمل وقال بصوت يهرب من البكاء:

- (هووووش .... ستعيشـــين أكثر وأكثر .... وستظلين معي لآخر نبضة بقلبي أنا .... سيشيب شعرك وشعري معا وسترين إبننا حين يكبر ويصبح أميراً على البلاد)

فإستدارت وهي تدفن وجهها في حضنه

- (أعرف أن العصفور لـــولا رعايتك له لما طال عمره حتى الآن .... ولولا حبك لي لمـــا كنت أنا أميرة للبلاد ... صدقني مجرد حبك لـــي هو في حد ذاته عمر جميـــل .... عدني أن تظل تتذكرني فلن أموت إلا يوم أن تنســـاني أنت ... فلـــو لم أقابلك لكنت لن أعرف للحياة طعماً ... فأنت الحياة)

فقال وهو يكتم آه بقلبه:

- (قلت لكِ إنسي أمر العصفور .. فسيعيش العصفور وستعيشين)

شعر وهو يحوطها بذراعه بدرجة حرارة مرتفعة جدا تنبعث من جسدها فرفع يده لأعلى رأسها وشعر بأنامله تحترق من جبينها وسخونته وشعر بثقل رأســـها المسنودة إليه .. فقال بلهفة وهو ينظر لوجهها الذي إرتمى للخلف على ذراعه بضعف

- (ماذا بك؟.... بماذا تشعرين؟)

فقالت بصوت متهدج ضعيف وهي تحاول أن تستجمع تركيزها تجاه وجهه:

- (أشعر بالموت .... أشم رائحته يقترب مني منذ ساعات .... وها أنت أتيت لأكون معك في تلك اللحظة الأخيرة يا أجمل ما في حياتي)

وبدأت عيناها تزوغ في الفراغ

حملها بين ذراعيه وصعد بها يجري الى غرفته وهو يصرخ في الخدم:

- (أريد الطبيب فوراً)

وضعها على السرير المخملي الملكي ولاحظ مالم يلحظه على ضوء القمر الخافت بالحديقة

إن المرض حقا يطل من عيونها

يطل بشراسة وشر

يعلن نهاية قصة حبهم

أمسك بيدها وقال وهو يبكي:

- (تمسكي بالحياة من أجلي .... إن مُت فسأموت أنا أيضاً .... إن روحي وقلبي متعلقان بدقات قلبك فتمسكي بالحياة من أجلي يا أميرتي وحبيبتي وأم طفلي)

مدت يدها بوهن إليه وهي تدوس على الحروف لتجمع الكلمات من على شفاهها

- (بل ستعيش أنت وتجعلني أعيش في قلبك .. لقد وافقت يوما على قدري وأنا سعيدة راضية مستعدة للحظة الوداع .. أريدك أن تأتي بقفص العصفور هنا أمامي في الغرفة لأراه)

نظر إليها بتردد وهو يهز برأسه رافضاً وقال:

- (لا ... أكره هذا العصفور لا أريده هنا أكرهه)

- (أرجوك .. لأول مرة أطلب أن أراه منذ سنوات .. أريد أن أراه الآن)

خرج وغاب مـــدة طويلة وكان معها الطبيب بالغرفة وعاد هو يحمل القفص بالعصفور غريب الألوان ووضعه بجانب ســـريرها

عرف من الطبيب أنها تعاني من حمى بالغة الخطورة شـــديدة الندرة ... وأن نسبة الشـــفاء منها قليلة وأنها لربما تدخل في غيبوبة في خلال ساعات

ظل بجانبها يطعمها بنفسه ويعطيها الدواء ويخرج العصفور ويضعه بين كفيها ويقول لها وهي في غيبوبتها:

- (تحســـي ما بين يديك يا حبيبـــتي ... إن العصفور حي وبصحة جيدة فإفتحي عينيك للحياة أنتِ أيضاً أرجوكِ ... إنه مجرد مرض وسيمر ... إنه ليس الموت ... لا تستسلمي ... قاومي .. أعرف أنك تســـمعينني... إن العمر بيد الله وليس بيد الساحرة ... ثقي في الله ... وأنا أيضاً أثق به كثيرا .. سيحفظك لي ولأبنك.... إنه قادر على نجاتك وهزم السحر)

يوما بعد يوم كان يعيد عليها كلماته حتى بدأت تتماثل للشـــفاء وهـــي تثبت عينيها على العصفور الذي يغـــرد داخل القفص ويطير من يمينه ليســـاره بمنتهى الحيوية والصحة

ومع الأيـــام أصبحت في أفضل حال وبدأت تســـترد صحتها وجمالها وبريقها مع ســـعادة لاتوصف من الأمير

ولكنها قررت أن لا يعود العصفور لغرفته وأن يبقى في حجرتها ..

كان العصفور قد ألفها كثـــيراً وعندما تخرجه من قفصه وتضعه بين يديها لا يحـــاول الهروب أو الطيران بعيدا عنها

وجاء الشـــتاء ونزلت مع الأمير وطفلهـــا للحديقة في إحدى الليالي ومعهـــا العصفور فقال لها الامير:

- (ألا تشعرين بإبتسامات الورود والشجر والقمر منذ شفائك (

- (أشعر بسعادتك .... وأستغرب من صحة العصفور وكأنك أعطيته إكسير الشباب ... ألا تلاحظ حيويته .... أندم على أني لم أره طوال السنوات الماضية)

فإبتسم.... وقبل رأسها وقال لها هامسا:

- (لم يعطيكِ هو قصر عمره ... بل أعطيته أنتِ الجمال والشباب والحيوية)

فقالت مداعبة:

- (إستفاد هو من السحر إذن هههههه)

- (لا تقولي سحر .... فأنا لا أؤمن به.... أنا أؤمن فقط بالثقة والإيمان بالله ... والعزيمة القوية ... إنهم يغلبون السحر صدقيني.. إنهم أقوى)

نظرت له بإنبهار وحب

وإذ بالسماء تعلن عن برق ورعد وتبدأ بإهدار قطرات المطر فجروا مسرعين للقصر يضحكون تحت المطر وفي الطريق توقفت الأميرة بإندهاش

فتحت فمها عن آخره بتعجب

وجدت يدها ملطخة بمياه ملونة

والعصفور لونه رمادي

نعم كان ملوناً بألوان صناعية أزاحها المطر

نظرت للأمير وقالت:

- (ماهذا؟... هذا ليس العصفور المسحور إذن)

نظر إليها وقال:

- (نعم إنه ليس هو .... ذات يوم وأنا أطمئن على العصفور الحقيقي وجدته يموت بســـبب الشـــيخوخة ... بحثت عنك لحظتها .... ووجدتك بالحديقة تعانين المرض ... عندما طلبتِ العصفور وأنتِ في الفـــراش كان بالفعل قد مات ... أعلـــم أنك لم تريه منذ يوم زفافنا وكل ما تذكرينه عنه هو أنه ملون بألوان غريبة ولا تعرفين تطورات شكله .... جائتني فكرة إحضار عصفور عادي من الحديقة وتلوينه لأشجعك وأعطيكِ أملاً في الشفاء ..... وكانت حالتك الصحية ســـيئة .... ولكنك تماثلتِ للشـــفاء ....ظنا منك أن العصفـــور حي وبصحة جيدة وأنه بينَ يديك يومياً)

فإبتسمت وهي تقترب من عينيه وقالت:

- (ألهذا من وقتها لا تعترف بالسحر ...)

- (أعترف فقط بالله .... والحب الذي أحبه لك وأن عمرك ملك لله وحده لا لعصفور ولا لساحرة ولا لملك)

ركضوا تحت المطر في إتجاه النهر يلهون بسعادة مع العصفور الذي شعروا بسعادته بعد تحرره من تلك الألوان

***

القصة العاشرة

الرقصة الأخيرة

– (هل تسمحين لي بمشاركتك الطاولة؟)

أومأت برأســـها موافقة بعد أن نظرت إليه وهـــي تتفحصه من أعلى شـــعره لأخمص قدميه بصمت

كانت إمرأة جميلة شـــقراء فاتنة ذات عيـــون زرقاء تجلس بمفردها في ركن تلك الكافيتريا ترتدي بالطو أســـود ذو فرو أسود لامع وتغطي شـــعرها بغطاء رأسه ..... وشـــعرها الكثيف الأشقر يحاول الهروب من هذا الغطاء لينســـدل علي وجهها المنسق دقيق الملامح كأجمل اللوحات الرومانسية

كانت بكافتريا تتسم بالجو الشعبي القديم وكأنك داخل صفحات إحدى روايات نجيب محفوظ

النادل يرتدي ملابس الحرافيش

الكراسي الخشبية المنجدة بالقماش المزرقش بالألوان الصاخبة

الإضـــاءة الضعيفـــة كأنها صـــادرة من لمبـــات جـــاز معلقة على الحائـــط..... و فرقة العزف الشـــرقية ذات الطربوش الأحمر والبذلة يعزفـــون بالعود والرق والكمـــان أجمل الأغاني القديمـــة والمطربة التي تجلس وســـطهم بفســـتان طويل وتغـــني كأنها منـــيرة المهدية أو ألمظ

عندما تدخل مـــن الباب كأنك قد تركت زمناً وتحولت لزمن آخر بالداخـــل إنه لا يعرفها ولا هي تعرفه من قبل إســـتغرب موافقتها على مشاركته الطاولة بهذه السهولة

كان شاباً وسيماً مفتول العضلات منسق الشعر الناعم دقيق الملامح كأبطال القصص والروايات

جلس أمامها وهي تحاول إختراق زجاج كوب الشـــاي الذي بين يدها بنظراتهـــا وهو يخرج البخار الذي يصنع تلك الســـحابة الخفيفة أمام وجهها

فظل صامتـــاً ينظر إليها وينظر للناس مبتســـماً وكأنه يفتخر أن الجميلة الحسناء تشـــاركه نفس الطاوله

طـــال الصمت وهـــو متردد في بدء الحديث لربما يزعجها و يخســـر الجلوس بقرب هـــذا الجمال الفتان

فبدأت الموسيقى تعزف والمطربة تغني

- (أمانة عليك يا ليل طوِّل وهات العمر مـــ الأول

بحب جديد وقلبي سعيد يا ريتني عشقت عمنوِّل

أمانة .. أمانة .. أمانة .. أمانة أمانة يا ليلي يا ليل)

فقالت الجميلة وهي مازالت تفحص كوب الشاي الذي بين يديها

- (أحبه)

فنظر إليها مفزوعاً كأنه يستغرب أنها تستطيع النطق بكلمات مثل البشر

فأكملت وهي تدور بطرف أصبعها على حافة كوب الشاي

- (أحبه بجنون .... نعم ....وقلت له لو كان في موتي يوماً سعادته لإخترت موتي دون تفكير .... هل تعرف هذا الإحســـاس بالسكن و الإكتفـــاء عن العالم والكمال به ..... هو الذي يعطيني الشـــعور بالأمان .....وكأني كنت يوماً جزءاً منه إنفصل لأولد أنا..... كنت أشعر أننا كيان واحد تمت قسمته الى جسدين ... مخلوقين مـــن بعضنا قبـــل أن نكون لبعضنـــا ..... لم أرى في نفســـي إلا حبيبتـــه..... وهو لم يكن إلا حبيـــبي ..... أكاد أموت من خوفي عليه لو نطق الآه.... إخترت أن أكون أسيرة لحبه ..... إخترت ان أكون معتكفة في معبد قلبه .... أن أظل راهبة في محراب عشقه.... ضحيت بكل شـــئ لنكون ســـوياً ..... لنتزوج برغـــم كل المعوقات

والظروف المادية .....حتى الإخلاص بيننا لم يتم بالإتفاق ..... وإنما من تلقاء نفسه حينما شعرنا بأن كل منا إمتلأ بالآخر، وبأنه لا يجد مكاناً في نفســـه لحب ثانٍ . .....حتـــى جمعنا بيت واحد كحلم جميل ..... رفض أن يكتمل(

لمح في عينيها دمعة تقف بإهتزاز على الجانب تحاول التماسك فغنت المطربة فجأة مع الموســـيقى أغنية جديدة فإلتفتت تستمع وصمتت عن الحديث

- (أكاد أشكُّ في نفسي لأني أكادُ أشكُّ فيكَ وأنتَ منّي
يقولُ الناسُ إنّك خنتَ عهدي ولم تحفظْ هوايَ ولم تصنّي
وأنتَ مُناي أجمعها مشتْ بي إليكَ خُطى الشّبابِ المُطمئنِّ
يُكذِّبُ فيك كلَّ الناسِ قلبي وتسمعُ فيك كلَّ الناسِ أُذني
وكمْ طافتْ عليَّ ظلالُ شكٍّ أقضّت مضجعي وإستعبدتني)

نظرت للمطربة وهي صامته فنظر هو الآخر للمطربة تبعاً لها فقالت فجأة وهي تبكي بحرقة

- (أنا لم أخنه أبداً)

فنظر إليها وهو يفتح عينيه عن آخرهم وقال:

- (من؟؟ حبيبك!!!!! ... أقصد زوجك!!!!..... الذي تتكلمين عنه كل هذا الكلام!!!!!! .... تخونينه!!!!)

أومأت برأسها:

- (هو يعتقد ذلك الآن .... بل أنا من جعلته يعتقد هذا)
- (لماذا ؟)
- (حتي يكرهني قبل فوات الاوان)

- (لا أفهم!!!! تريدينه أن يكرهك!!!!! ولماذا؟)

نظرت للأرض وقالت:

- (مر عام ولم ننجب ... كنت متشوقة لطفل يحمل ملامحه ممزوجة بملامحي .... ذهبت بدون علمه لأتاكد من السبب عند الطبيب .... وهناك علمت بأني مصابة بسرطان رحم خبيث في المرحلة الأخيرة ..... أكد لي أن الحل هو إستئصال الرحم ثم العلاج الكيماوي ... وليس كعلاج شافي فربما بعد عام أو إثنين من العذاب أجد المرض في عضو آخر لأنه إنتشر بالفعل وانا لم أكتشفه من قبل)

فقال متحمساً:

- (حاولي في العلاج .....لا تيأسي .... فأنتِ شابة جميلة)

قاطعته ساخرة باكية:

- (وإن عشت ولم أمت!!! هل أحرمه من الإنجاب!!! أحرمه من الأبوة..... وأنا أعلم أنه لن يتزوج بأخرى وأنا معه .. لأنه لن يستطيع جرح مشاعري ... وحتى بعد موتي لن يتزوج وفاءاً لحبي..... واثقة في أني أعرف أفكاره وماسيفعل غداً أكثر مما أعرف نفسي ... فأنا سأكون له زوجة بلا شعر ولا رموش ولا جمال ..... سأفقد كل أنوثتي .... ثم أموت في النهاية لأعذبه بآلام فراقي.... هذا إن إخترت طريق العلاج المتأخر .....)

نظرت إليه وهي تبكي وإلتقت عينه بعينها لأول مرة

- (أخاف عليه من موتي ..... هل تفهم .... يجب أن أموت الآن في عينيه ... بل اليوم ..... يجب أن يحدث كل هذا اليوم)

- (ولماذا يكرهك؟)

- (حتى لا يتعذب ... سيكرهني ويتعذب يومين لإكتشافه أني خائنة

وسيحب ويبدأ من جديد ... وربما عندما أموت يصبح سعيداً بموتي لا حزيناً)

- (وكيف جعلته يشك فيكِ؟)

- (مثلت منذ أسبوع أني أتحدث في الهاتف لشخص ما بضحك وهمس و أسمعته بعض العبارات كأغلق الآن أرجوك زوجي قد وصل أو لقد أوحشتني بهمس ..... حتى رأيت الشك يقتله)

كانت المطربة قد إنتهت من أغنية أم كلثوم وبدأت تشدوا بأغنية أخرى لليلى مراد

- (ماليش أمل في الدنيا دي غير إني أشوفك متهنّي حتى إن لقيت إن بعادي راح يسعدك إبعد عني أما أنا مهما جرى حفضل أصون عهد الهوى وإن غبت يوم ولا سنة حفضل أنا برضه أنا زي ما أنا)

فنظر إليها ومد يده بمنديل مسح دموعها التي سقطت مع صمتها لدقائق تستمع للأغنية وقال مقاطعا ذوبانها مع الأغنية:

- (وكيف جعلته يتأكد من خيانتك؟ فالمكالمات ليست دليلاً بعد ما وصفته من حب وعشق وثقة)

نظرت لساعتها وقالت:

- (تركت هاتفي في المنزل عليه رسالة من رقم إشتريته أنا اليوم ... بها كلام حب وعشق وأن موعد الغرام هنا في هذا المكان وفي هذا الوقت ..... سيأتي حالا .. إنه على وصول بالتأكيد)

قال فاغراً فاه وعلا صوته حتى إلتفت بعض الرواد إليه:

- (ألهذا وافقتِ على طلبي بمشاركتك الطاولة!!!!!)

- (نعم ... فأنت مثالي .... شاب وسيم جداً .. من أجل مثلك تضحي إحداهن بشرفها وبيتها وحبيبها ..... وحكيت لك

لتساعدني .... أرجوك أنه قادم الآن ويجب أن يكرهني ويتأكد أنني لا أستحق حبه ولا أستحق وفاءه وأن غيري أولى بحبه وإخلاصه)

نظر إليها صامتا وبداخله ألف جملة تتصارع على شفتيه للخروج ولكن دون جدوى

وفجأة إنطلقت الموسيقي بعزف موسيقي التانجو على أغنية قلبي ومفتاحه ووقفت المطربة ببهجة تغني وسط تصفيق الحضور على النغمات الراقصة بتوزيع غربي

– (قلبي ومفتاحه دول ملك إيديك ومساه وصباحه بيسألني عليك

يا حبيبي يا ريت أبقى حبيبك

وأكون من بختك ونصيبك

دا أنا مهما بتقسى برضه حبيبك

وتسبني الروح قبل ما أسيبك

قلبي عمل إيه يا حبيبي

ليه تقسى عليه يا حبيبي

وحشته أفراحه من شوقه اليك

ومساه صباحه بيسألني عليك

قلبي ومفتاحه دول ملك إيديك)

وسط الأغنيه نظرت للباب وإبتسمت فقد رأت زوجها يبحث بين الحضور بعين مجنونه غاضبة

فخلعت البالطو الأسود الأنيق سريعاً ووضعته على حافة المقعد وكانت ترتدي تحته فستاناً فضياً ضيقاً وقصيراً وجذبت الشاب من

يده ووقفت ترقص معه التانجو بجنون وسـط الناس بعد أن نظرت إليه بإستعطاف أن يشاركها الرقص

وقد فهم أنها لحظة تنفيذ حكم إعدام قلبها الذي إختارته بنفسها فنظر إليها محذراً فجذبته بقوة مصرة على التنفيذ

فوقف ووضع يده على خصرها ورقص معها التانجو بإحتراف على نغمات هذه الأغنية وعينه تكاد تبكي وهي بين حين وآخر تضع يدها على شعره ووجهه وتتمايل وعينها مليئة بالدموع

ركض زوجها ناحيتهما وضربها وسط الجميع على وجهها فتوقفت الموسيقى وتراجعت المطربة خطوات خائفة

- (خسارة حبي ليكي .... أنا بكرهك ... إنتي طالق)

وخرج مسرعا من المكان

علقت عينيها عليه وهو يرحل

ومدت يدها لمقعدها وتناولت البالطو وإرتدته ثم رفعت غطاء الرأس على شعرها

فأوقفها الشاب

- (الى أين ياا ..... ما أسمك؟)

فإستدارت له وعيناها مليئه بالدموع ويدها ترتعش وصدرها يعلو ويهبط وهي تتنفس بعنف

- (لا يهم .... لا يهم أي شئ الآن ... شكراً على هذه الرقصة)

وخرجت تجري من المكان

***

القصة الحادية عشرة

قصة العُمر

من النافذة المقابله لهم وقف الطفل

الصغير يسترق النظر علي جيرانه المسنين كما تعود دائما

فرأي جاره رأفت العجوز ممدد علي السـرير و بجانبه زوجته سلوي تضع وجهها بين كفيها

كانت تجلس بجانبه علي كرسي ملاصق للسرير

أمسكت يده المثلجه

نظرت لعيناه المغمضتين

وتذكرت يوم صارحها بحبه وكان كله خجل

ثم يوم أصبحت خطيبته وراحوا يرسمون أحلامهم سويا بألوان الحياة

ويوم أرتدت الفستان الأبيض الذي جعلها فاتنه أضعاف جمالها

تذكرت يوم إشـتاقت للإنجاب وذهبت معـه للطبيب صديقه الذي أخبرهـا بإنها طبيعيه وسـتصبح أم يوماً فلا تتعجل

وتذكرت بعد سنوات عندما أقنعتها اختها بتركه لكي تكون أم بعيدا عنه ورفضت هي

فكانت تشعر أنه إبنها وأبيها وصديقها وحبيبها فلن تتركه من أجل طفل لاتعرفه حتي وإن كان طفلها

إعتدلت في جلستها بجانبه وأحتضنته وهي تصرخ ببكاء

– (آآآه ياقلبي)

تذكرت بعد ان أتمت السـتون عاماً حين ذهبت لطبيب نسـاء آخر بعـد وفاة طبيبها فأخبرها بعد الفحوصات ان لديها عيب خلقي يمنعها مـن الإنجاب وتذكرت ان الطبيب الأول كان صديق زوجها اما هذا فلا يعرفه ويومها عرفت إنها لم تضحي قط

بل هو من ضحي وأخرس كل لسان يعرض عليه الزواج باخري ليكون اب طوال سنواتهم إنه حقاً نعم الحبيب والزوج والرفيق يومها عادت وبكت بين يديه تحمل لسنين نظرات من أهلها تتهمه دائما بحرمان إبنتهم من الأمومه ولم تكتشـــف الحقيقه إلا بعد أن تخطو الستين وفات أوان حلم الأبوه والأمومه وكان رده - (انتي طفلتي .... لا أريد غيرك)

كان هو عكازها وهي نظارته

كانو يتكفلون بكريم الطفل اليتيم و الذي شـــق طريقه وتزوج الآن ويحافـــظ علي زيارتهم دائما كلما أتاحـــت ظروف عمله بعد أن تخطي الثلاثون من عمره

ولم يبقي في حياتهم إلا هذا الطفل اللزج إبن جيرانهم الشـــباب الذي دائمـــا يراقبهم تاركاً كل أفلام الكارتـــون والألعاب الإلكترونيه وكإنه يجد السعادة في ملل هذان المسنان وروتينهم

تذكرته فنظرت تجاه الشـــرفه فوجدته واقف ينظر ويســـترق النظر كلص محترف

إتجهت وأغلقت النافذه وهي تقاوم دموعها

وإتجه الطفل لأمه وقال

- (ماما اعتقد ان جارنا العجوز رأفت مات)
- (ياخبر ... لا حول ولا قوة الا بالله)

وإتجهت ناحية الهاتف تطلب رقم جارتها سلوي التي لم ترد في البدايه فهي تعلم أنهم وحيدون و أرادت الإطمأنان عليهم حتي ردت ســـلوي بعد الحاح

- (صباح الخير ....هل استاذ رأفت بخير...؟)
- (ايوه)

كانت ترد بإقتضاب وصوت مكتوم

- (آآآآآآه ....مدام سلوي ،،،، حضرتك بخير ؟)
- (ايوه بخير يابنتي)
- (انا اسفه للإزعاج)

أغلقت الهاتف وإتجهت توبخ طفلها علي الخبر الكاذب الذي بلغها به وكم سيكون إحراجها كبير ان أبلغت جارتها بما قاله طفلها الصغير وإنها لن تصدقه مره اخري

وبعد مرور أسبوع

جاء كريم الشاب الذي كانوا يكفلونه في الصغر و ظل يطرق الباب حتي يأس فكسر باب شقتهم

فوجد جثة رأفت وقد ظهر عليها علامات تحلل تعود لأسبوع مضي

وبجانبه تحتضنه جثه سلوي زوجته والتي يتضح من حالها انها ماتت بعده بأيام

وكتبت ورقه بجانبها

- (أعذرني ياحبيبي لم أتحمل ان تنزل القبر وتتركني أحضر تلك اللحظه ففضلت ان أنتظر بجانبك حتي ننزل الي القبر سويا كما عيشنا سويا .... لا تقلق أشعر أني لن أتاخر كثيرا عنك .... أحبك)

***

القصة الثانية عشرة

خارج القضبان

نظرت حولها فرأت قضباناً محاطة فقط بالقضبان من كل جانب

نظرت من خلف القضبان فرأت حدائق غناء يكســـوها اللون الأخضر ومزركشة بألوان الورود

رأت مثيلاتها منطلقات بين الأشجار يلهون فرحين

يقتربون منها بحذر يشاهدونها وكأنهم يتساءلون لماذا هي سجينه؟؟

ثم يهربون مســـرعين حامدين الله على حريتهم ويمرحون ويشدون بأجمل الألحان أمام عينيها

إبتسمت لمشهد الورود الجميلة

و تمنت لو لمستهم يوماً أو شمت عبيرهم

عادت لركن في ســـجنها حزينة وهي ترمق أشعة الشمس على جدول الماء و إنعكاساتها كأنها لآلئ

أغمضت عينيها للحظة وهي تتخيل نفســـها تلهو بالماء وتجري على الحشائش وتتنقل بين الأشـــجار بمرح وتشدوا بأغنيتها المفضلة

فتحت عينيها ولمست القضبان الذهبية

وقالت لنفسها:

- (اااااه لو كسرتك ... أكرهك)

هاهو سجانها الذي طالما كرهته يقترب من محبسها بنفس الإبتسامة البلهاء التي إعتادتها منه يومياً

فرمقته بنظرة معاتبة ســـاخطة وعادت بجســـدها الرشـــيق للخلف متحفزة وإلتصقـــــت بالقضبان الخلفية

فتح الباب بعد أن صب لها ماءاً ووضع لها إناء طعام وحاول أن يلمسها بأصابعه ليستشعر نعومتها

فلم تجد نفســـها إلا وهي تنقض على إصبعـــه وتعضه بكل ما أوتيت من قوة

فتراجع خطوات للوراء صارخاً

تاركاً الباب مفتوحاً للحظة

لم تصدق نفسها

إنها دقائـــق متاحة للهروب إذن وهو مهتـــم بالنظر لإصبعه وجرحه الصغير الـــذي صنعه منقارها

إن الهواء تغير أخيراً

رائحة الحرية الجميلة

ركضت وطارت خارج القفص

طارت وطارت بين الأشجار

أخيراً شعرت بأنها عصفورة مثل غيرها من الأحرار

أخيراً ستلمس مياه الجدول الصغير

ستقترب لتعرف ماهو عبير الزهور

ستلهو وتستمتع بضحكات باقي العصافير

ربما معرضه للموت والخطر أكثر بعيداً عن قفصها لأنها من سلالة نـــادرة ولكن الموت بعد يوم واحد من الحرية أفضل من الحياة ألف عام في هذا القفص وإنطلقت بين العصافير سعيدة تحلق في السماء

***

القصة الثالثة عشرة

ليتني أنتِ

دخلت السيدة الأرستقراطية الى المطعم الراقي وبمجرد دخولها حتى هب أحد العاملين لإستقبالها ... وإتجهت لتلك الطاولة الجانبية التي إعتادت الجلوس عليها بجوار النافذة المطلة على النيل تدغدغ اذنها تلك الاغنيه الفرنسية

إنها سيدة في الأربعين من عمرها ولكنها تبدو أصغر بعشر أعوام على الأقل رشـــيقة ... جميلة .... وقورة ... أســـتاذة جامعية ودائما تحل كضيفة على القنوات الفضائية وبرامج التوك شـــو ...

إتجهت لمنضدة في جانب المطعم وخلعت نظارتها الشمســـية وأخرجت هاتفها لتتابـــع آخر الأحداث على الإنترنت حتى تصل وجبتها ....

فجأة وجدت سيدة تقف أمامها مباشرة ...مبتسمة ... بشوشة .... ممتلئة القوام .... محجبـــة ... تمتلك قدراً ضئيلاً من الجمال .... لا تتحدث ولكنها مبتسمة غبتسامة عريضة وكأنها تنتظر منها رد فعل معين تعجبت في البداية لكن حينما إلتقت عيناهما أحســـت أنها ليست غريبة .... وأن بها شـــيئاً مألوفـــاً ..... قطعت حيرتها عندما صاحت المرأة الأخرى بسعادة

- (جيجي)

ثم ضحكت

فتذكرتها.....

إنها صديقة ســـنوات الجامعة ... أقرب صديقاتها وقتها إليها .... تذكرتها بمجرد أن سمعت صوتها وضحكتها .... قفزت من كرســـيها فرحة وهي تقول:

- (شيري إتغيرتي خالص ..... مش مصدقه نفسي)
- (أيوه ياســـتي ... ما إنتي المهمه... الكل في الـــكل ... أنا عرفتك علطول لأني بشـــوفك في التليفزيـــون كل يوم تقريباً)

- (المهم إنتي أخبارك إيه ... وعملتي إيه في الدنيا ... إقعدي إحكيلي)

تنهدت شيري بعمق وهي تقول

- (أهو ياستي كبرنا وعجزنا .... عندي بنت في أولى طب وولد في ثانوي وولد في إعدادي .... وأنتي؟)

- (أنا زي ما إنتي شايفه سافرت فرنسا بعد الماستر وكملت الدكتوراه وبعدين سافرت عملت أبحاث في أمريكا .... ورجعت أستاذة في الجامعة وعندي مكتبي الخاص وبجهز أكون مذيعة لبرنامج سياسي على قناة فضائيه)

نظرت شيري لها صامته للحظات ثم قالت:

- أنا مبسوطه أوي إني شفتك بعد كل العمر ده وكان نفسي نتكلم أكتر بس إبني هيخرج من المدرسة وهروح أخده بعد عشر دقائق..... لازم في يوم نتقابل تاني

وإنتهى لقائهما بالأحضان والقبلات وتبادلا أرقام الهواتف مع وعد بالتواصل ..... وعادت جيجي لكرسيها وشيري أكملت طريقها لتخرج من المطعم وهي تتحدث لنفسها

- (ياااااه .... كنت أنا وجيجي في يوم من الأيام واقفين في نفس النقطه... نفس الدراسة ونفس السن ونفس الجمال ونفس المستوى الإجتماعي ... الآن من هي ومن أنا؟....

هي نجمة المحتمع الناجحة المشهورة المعروفة .... الغنية بأموالها وسيارتها ونظارتها التي ربما تساوي مصروف بيتي شهراً ..... وأنا مجرد زوجة لا تعمل ليس لها إسم ولا إنجازات ولا نجاحات .. ماذا حققت لنفسي؟؟؟ لا شئ .....

أنا فاشلة كبيرة ... أكبر نجاح هو أن أسارع في إنهاء الغداء قبل عودة زوجي والأولاد ...

كنا نشـــبه بعضنا بـــل كنت أنا أجمل منهـــا ... واليوم هي أجمل وأصغر وأشـــيك وأرقي وأنجح ... أنا سمينة وملابســـي لا تقارن بها .. يكفي رائحة عطرها الفرنسي الناعم ... فأنا أبدو أكبر من عمري وهي أصغر وكأني أنا أمها ....

بعد كل هذه الأعـــوام قابلتها صدفة .... لدقائق .. لكي أعرف أن عمري ضاع ولم أنجز شـــيئاً ..... كنت متساوية معها ونقف عند نفس النقطة ...فإبتعدنا اليوم بعد الليل والنهار

أين ذهبت بي الدنيـــا!!!!!.... أكره حياتي .... آآآه .... ليتني أنتِ يا جيجي ليتني أنتِ)

وســـقطت دمعة من عينها وهي تقف في إنتظار خروج إبنها علي باب المدرسة

وفي نفس الوقت في المطعم

جلســـت جيجي شـــاردة حزينة تلهو بملعقتها في حسائها وهي تفكر وشاردة لا تأكل

- (!!!!اه .... كنـــت أنا و أنتِ في يوم ما فتاتان متســـاويتان في كل شـــئ.... كنا نقف في نفس النقطـــة .... قابلتك اليوم لأعرف حقيقـــة واحدة أن عمري مـــر دون أن أدري ولن يعود .....

نعـــم ضاع عمـــري ..... لديها بنت في كلية طـــب .... أي أنها أم لعروســـة .... لديها أبناء لو مرضت لجلسوا تحت أقدامها ..... أما أنا فوحدي .... إن مت من سيكتشـــف موتي!!!

لديها زوج ترمي همومها آخر اليوم في حضنه .... ما أجمل أن يكون للمرأة رجل يحميها من نفسه وأهله ومن نفسها على نفسها

مـــا أجمل أن يحتويها بكلمات رقيقـــة وأن تحتمي فيه من الدنيا وما فيها .....

حقاً أبدو أجمل منها اليوم ... لكن هل سيعوضني جمالي وشبابي الصناعي عن كلمة أمي؟ ... كلمة حبيبتي؟ .... هل سيعوضني مالي وشهرتي عن أسرة أضحك معها أمام التلفاز أو نتجاذب الغطاء في ليلة شتاء باردة على الأريكة .. يوم جر يوماً ... شهر سحب شهرين..... وسنوات أكلت سنوات حتى كبرت وخدعتني مرآتي .. ولكن خلف الوجه المحقون بالبوتكس وجه آخر لإمرأة أعرفها سرقت مني أجمل سنوات شبابي وحرمتني أجمل المشاعر وحرمت نفسها الأمومة والحب جرياً وراء العلم والنجاح والمال

كنت أعتقد أني مازلت شابة يمكن أن أقف وقتما أشاء و أكتفي من النجاح و أبدء حياتي .....

لقد مر الوقت ولم أدري ... خدعني الزمن ..... وكشفت شيري الحقيقة في دقائق .... لقد كبرت وإنتهيت ولن أخدع نفسي بصالونات التجميل و أطبائه ..... أكره حياتي ..... آآآآه .... ليتني أنتِ يا شري)

وسقطت من عينيها دمعة أخرى تشبه دمعة صديقتها

القصة الرابعة عشرة

الأسد الخائف

إن فكرت يوماً أن تزور حديقة الحيوان ستجد رجلاً عجوزاً يهرع خلف الزائرين قائلا:

- (تتصور مع الأسد؟ صوره مع الأسد ياهانم؟)

أول ما كنت أفكر فيه هو أنه مجرد شبل وليد عمره شهر علي الاكثر

وكنـــت أرفض الصورة أو حتى الفكرة وأمشـــي دون أن أرد عليه حتى متجاهلة عرضه

أتخيل أني سأظهر بإبتسامة بلهاء أحمل قطاً أصفر وسيكون عليّ أن أقسم ألف مرة أن هذا القط ما هو إلا أسد وليد وأنا أشعر بالفخر

هذة المرة قررت أن أســـتجيب للرجل حتـــى وإن مزقت الصورة بعدها ولكنه الفضول لأرى هـــذه الصورة الكوميدية

دخلت خلفه الى غرفة بجانب بيت الأسود

وإذ به يخرج أسداً كبيراً وليس شبلاً صغيراً

أسد !!!!

من الواضح جدا أنه أسد

لا علاقة له بالقطط الصفراء التي طالما تخيلتها

زأر وهو يخرج من القفص

زئير أوقع قلبي

فنظرت للرجل بإستغراب وقلت:

- (كم عمره؟)

- (عامين تقريبا)

- (عامـــان!!.. إذن فهو قادر على الهجوم والإفتراس .. هذا خطر جداً كيف تعرضون الناس والأطفال لهذا الأسد المراهق)

- (هذا إن كان يعلم أنه أسد أصلا)

- (وهو لا يعلم؟)

- (نعم لا يعلم)

- (كيف؟)

- إننا نأخذ الأســـد منذ ولادته من والديه ونعزله عن معشـــر الأسود فنســـقيه اللبن ونقدم له نباتات وجـــزر وخضروات كغذاء له

ولم يذق اللحم قط ولم يعرف طعمه طوال سنوات حياته فنحن نعامله بألفة كالقطط)

كان يحدثني وعلى وجهه علامات المشـــقة لثقل الأسد الذي يحمله وهو يربت على ظهره ليطمئنه

- الآن هو الذي يخاف منـــك وانا أطمئنه فهو لا يعرف أنه أقوى منا وأنه قادر على الإفـــتراس فكوني مطمئنة .. فهو يعتقد أنه قط حقا)

اخذت صورة معه بإبتسامة مرعوبة وليست بلهاء كما كنت أتوقع

وهو يزأر وينظر للكاميرا وينظر للحارس وكأنه يستحلفه أن يحميه من الغرباء حتى لا يؤذوه

رحلت وأنا أشـــعر بأن هذا الأسد قد شـــغلني كثيراً وأشعر بالشفقة عليه

فهو يجهل قوته بل يجهل نفسه

خائفاً مني وهو لو فكر أو نظر في المرآة مرة لإفترسني وكل الموجودين بسهولة

فهو يجهل كنهه ويستسلم لمن حوله ممن أعطوه معلومات بأنه قط وأخذ معلوماتهم كأمر مسلم دون بحث أو تفكير

لا ليس الأسد فقط

إنه مثال صغير لكثير من البشر

يحيون بمعلومات قالها لهم من حولهم

ولم يحاولوا للحظة أن يكتشفوا أنفسهم

يكتشفوا قواهم

يكتشفوا مواهبهم

ربما يموت هذا الأسد وهو يجهل أنه أسد

وربما يموت أكثر البشـــر وهم لم يبحثوا يوما عن أنفسهم أو يعرفوا قدراتهم الحقيقية وقواهم

رحلت يومها وقررت أن أبحث بداخلي عن هذا الأسد وألا أعيش كقط بعد اليوم

***

القصة الخامسة عشرة

أدهم

نزل من بيته في برد الشتاء القارس الذي إزداد مع إرتفاع درجة حرارته ووقف على باب البناية يحاول إحكام المعطف حول جسده الصغير النحيل قبل الخروج للشارع بعد أن شعر بقشعريرة تسري ببدنه بمجرد أن إقترب من الخروج

نظر يمينا ويساراً وهو خائف من السيارات العملاقة بالنسبة لحجمه الصغير في تجربته الأولى لعبور الشارع وأطلق ساقيه للريح ماراً بين السيارات

كان أدهم طفل لم يتعد الخمس سنوات ذو شعر ناعم كثيف ووجه ملائكي منمق يكسوه الإحمرار بسبب سخونة جسده ومرضه .. وسأل حارس إحدي العقارات ببراءة

- (عمو مافيش دكتور هنا علشان أنا عيان أوي)
- (في العمارة هنا الدور الأول دكتورة أطفال يا إبني)
- (شكرا)

صعد سلالم البناية حتى دخل من باب عيادة طبيبة الأطفال المليئة بالمرضى وكل طفل مريض يستند برأسه الى صدر أمه

إخترق الجالسين حتى مكتب السكرتيرة وحاول مط قدميه ووقف على أطراف أصابعه ليصل للمكتب العالي ودس يده الصغيرة بجيبه فأخرج ورقة بمائة جنيه

-(طنط عايز أكشف أنا عيان أوي)

نظرت الممرضة بإستغراب إليه معتقدة أن أمه أو أباه وسط الزحام الجالسين وأنه طفل أصر على حجز كشفه بنفسه وإلا سيملأ الدنيا صراخاً

فأعادت له الباقي و أعطته إيصال الكشف و أخذت إسمه وقالت:

- (أقعد مع مامتك بقى ياحبيبي لما يجي دورك هندهلك(

إتجه لكرســـي وحيد جانبي وجلس عليه ثم أسند رأسه على الكرسي بضعف و أخذ يتابع الجالسين

هناك طفل أمه تضعه على قدمها وتحتضنه وهي تقبل رأسه وتمسح على شعره وهو نائم

فمد يده تلقائياً ليمسح على شعر نفسه

وآخر أكبر سناً ربما خمسة عشـــرة أعوام جالس بجانب والده الذي بـــين كل حين وآخر يضع كفه على رأســـه ليتأكد من أن درجة حرارة إبنـــه لا ترتفع أكثر ويضع قبلة على جبينه

فمد كفه لجبهته فشعر بسخونة كادت تلسعه فأنزل يده

وسمع بجانبه طفلة تبكي بدلال لأمها وتقول:

- (مامـــي مامي .... لو خـــدت الحقنة وماعيطتـــش تجيبيلي لعبة كبيييير!!!!!ه)

- (حاضر ياروح قلبي)

فنظر وإبتسم وقال بصوت منخفض لم يسمعه أحد سواه

- (وأنا كمان يا مامي)

مر الوقت ومع الزحام ومرضه نام أدهم عل كرســـيه وسقط من يده إيصال كشـــفه تحت قدمه القصيرة التي لم تصل للأرض بعد

همت الطبيبـــة بالرحيل إلا أنها لاحظت الطفـــل النائم في الركن المظلم على كرســـيه فقالت لســـكرتيرتها وممرضتها

- (إيه ده مين ده ياجماعه؟ إزاي نايم كده)

فردت السكرتيره

- (ياااه ده طفل حجز كشف ونااديت إسمه ماردش فعلا يادكتورة... ماشفتوش خالص وهو نايم على الكرسي)

إقتربت منه الطبيبة ووضعت يدها على وجهه لتجد يدها تنتفض من درجة الحرارة المرتفعة فقالت مفزوعة للممرضة:

- (دخلولي الولد ده أوضة الكشـــف بســـرعة .... الولد سخن أووووي وحضرولي الترمومـــتر .. إزاي وصل لهنا لوحده بس إيه الناس الي بتخلف وترمي دي!!!!)

قامـــت الممرضة بحمله وهو شـــبه فاقد للوعي مـــن التعب للداخل وأعطتـــه الطبيبة بعض الحقن الســـريعة وجلســـت بجانبه وهي تضع الكمادات وتتابـــع درجة الحرارة

حتى بدأ أدهم بفتح عينيه شيئاً فشيئاً

فقالت له الطبيبة:

- (أنت لوحدك إزاي يابني ... فين مامتك أو باباك)
- (أنا .... أنا لاقيت نفســـي عيان أوي خـــدت فلوس من دولاب بابي ونزلت أكشـــف لأني كنت عيان خالص)
- (لوحدك)
- (أيوه)

فقالت بغضب وقد علا صوتها:

- (إزاااي إيه الإهمال ده إنت مامتك ست مستهتره فعلاً)

فقال بغضب وهو يصرخ رغم ضعفه ومرضه:

- (لا مامتي طيبة وحلوه .... ماتقوليش كده)

- (طيبة إيه بس ... إيه البلاوي إللي بتتحدف عليا دي يارب ... إديني رقمها ولا أي طريقة أوصلها بيها تيجي تاخدك)

- (بس مامي عند ربنا مش بعرف أكلمها خلاص)

إنتفضت لسماعها الكلمة وكأن دقات قلبها وقفت لحظات ثم عادت مرة أخرى لتدق وهي تنزف بألم وقالت:

- (حبيبي أنا آسفة.... أنا آسفة أووي)

وإقتربت منه لتحتضنه وتضع قبلة على رأســـه ولم تمنع دموعها من الإنهمار

فاليـــوم دخل إليها أطفال منهم الأكبر ســـناً منـــه بكثير مع لهفة أمهاتهم وآباءهم

وهذا الطفل يأتي بمفرده ليعالج نفسه

يا لقسوة اليتم

فقالت وهي تمسح دموعها:

- (باباك فين؟ مالكش خالة أو جدة أو عمة؟)

- (مامـــي كانت من لبنـــان مش من مصر .... وبابـــي من الصعيد ومالنـــاش قرايب في القاهـــرة .. مامي كانت عيانـــه جداً وراحت عند ربنا مـــن أيام كتير .... بس بابي جاب ســـت تقعد معانا أنا وأخويا ضربتنا فطردها ولســـه ماجبش حد تاني وهو بيروح الشغل لأنه غاب كتير ومديره قاله مايغيبش تاني .... فبيســـيبلنا فلوس وساندوتشـــات لما نرجع من المدرسة ناكلها)

سألته وهي تحاول ضبط نغمة صوتها بعد أن إختنق بالبكاء:

- (وهو أخوك كام سنة ياحبيبي؟)

- (سبع سنين ... النهارده رجعنا من المدرسة وأكلنا السندوتشات ونام هو علطـــول .... وأنا كنت عيان اوي ســـيبته نايم وأخدت فلوس ونزلت أشـــوف دكتور .... مامي كانـــت بتقول الدكتور بيخفف العيانيين ... صح!!!)

مسحت على شعره وهي تقبل جبينه وتقول:

- (الله يرحمها ... تعرف رقم باباك طيب أو تعرف بيتك فين؟)
- (اه بيتنا قريب أنا فاكر جيت إزاي لهنا)

في نفس اللحظة سمعت صوتاً بالخارج يلتقط أنفاسه ويقول لاهثاً:

- (لو سمحـــت .... في طفل صغير جه هنا لوحده .... البواب تحت قالي إن في طفل ســـأله على دكتور وطلع من ٣ ساعات)

فخرجت الطبيبة مسرعة للخارج:

- (إنت والد أدهم؟)

وجدت شـــاباً على وجهه علامات الإرهاق والتعب النفسي والجسماني واللهفة وفي يده طفل آخر أطول بعض السنتيمترات ويشبه أدهم كثيراً

فقال كمن تعلق بقشة

- (أيوه .... أيوه .... هو هنا!!!!.... أدهم إبني هنا)
- (أيوه إتفضل الولد جوه وتعبان أوي)
- (ابني حبيبي)

وجرى والده الى الداخل ليحمله بين ذراعيه ويقبله ويبكي:

- (أنا آســـف إني بســـيبكم لوحدكم بس أعمل إيه في الشغل مالناش مصدر دخل تاني .... يارب ســـاعدني)

فقالت الطبيبة:

- (أرجوك خد بالك أكتر الولـــد أتعرض لمخاطر كتير أكيد على مـــا وصل لهنا بس الحمد لله ربنا نجاه ... لو تحب أخده لبيتي لحد مايخف أدهم تماماً .... وهات أخوه كمان لحد ما أرتبلك شخص أمين يبقى معاهم في غيابك)

فنظر إليها وعيونه مليئة بالدموع وقال:

- (متشكر أووي لحضرتك .... أنا مش قادر أعوض دور أمهم ومالناش أي أقارب .. أمهم ماتت من شهر ... وأنا تعبت .. جبتلهم جليستين واحدة سرقتني والتانية ضربتهم ... آسف لو هتعبك)

- (أبدًا ... أبداً ... أنا عايشـــة لوحدي هنـــا في نفس العمارة الدور الأعلى .... وولادك هيملوا حياتي ... إسمحلي أكونلهم أم بديلة لحـــد ما ترتب حياتك على وضع آمن للأطفال ... وكمان أتطمن على أدهم بنفســـي لأن فعـــلاً حالته خطيره .... وبالمناســـبة أنا طبيبة أطفال محرومه من الأمومه .... إسمحلي أكون أم لأولادك وأستمتع بالأحســـاس ده ولو لأيام ده شئ هيسعدني جداً)

فنظر إليها نظرة كلها إمتنان وإبتسم

وعادت هي الى منزلها مصطحبة أدهم وأخيه الأكبر وهي تشـــعر بأن روح أمهم قد دبت بقلبها فجأة وحبهم يملأ قلبها

القصة السادسة عشرة

السم المنجي

رأته بعينيها

نعم فعيناها لم تكذبا

رأته مع غيرها

رأت إبتسامته

نفس الإبتسامه

رأت نظرته نفسها التي ينظر لها بها في لحظات العشق..

يدها داخل كفه..

نفس المكان الذي إعتادوا اللقاء به وأحبوه

صحيح لم تسمع الحوار ولكن كيوبيد كان ثالثهما واضحاً جلياً .. كلماته تكاد تحفظها عن ظهر قلب وتعرف مايقوله الان

تمنت لو كانت عمياء.....

تمنت لو كانت قد ماتت قبل تلك اللحظه.....

تراجعت خطوات عند مدخل هذا المطعم الكلاسيكي الدافئ

ضربات قلبها كادت تمزق ضلوعها

كان قلبها يصرخ ويقفز كالقط الجامح يحاول الهروب يميناً ويساراً من جسدها

تراخت الأرض تحت قدميها كإسفنجة هشة

تماسكت كي لا تسقط

أنفاسها تقطعت

شعرت بحرارة ترتفع حتي أعلى رأسها

حتى المساء كان يقول لها أحبك وهو متيم

قال إن حبهما أكبر من العالم وأنهما نصفين لروح واحدة

قال هذا وهو يقبل كفها ويقول لها أنا ملكك

كان يكذب حين قال أحبك!!!!

لم يعني الكلمة حين قالها !!

إنها ليست كلمة من أربع حروف .. إنها وعد

إنها أمان .... وحنان

إنها راحة .....

واحة من الجنة.....

انها كلمة تمزج روحين ليصيرا كياناً واحداً

كانت على إستعداد أن تترك العالم خلفها من أجله .. تحارب العالم حتى تموت شهيدة لسعادته

كانت تثق به ثقه عمياء كنفسها ..

لم تكن لتتخيل في أسوء كوابيسها ما تراه الآن بعينيها الان

كانت تعرف - أو كمـــا كانت تعتقد - أنها تعرف عقله فيما يفكر وقلبه بما يشعر

فجأه تشعر أنها لا تعرفه

لا تعرف من هو ذاك الذي كان حتي الامس حبيبها

كأن أحدهم سرق جسده

إنها في كابوس تتمنى أن تصحو منه

كيف تحول حبه فجأة من جنة الى نار تحرقها

كيف تحول لخنجر حاد شق قلبها نصفين

إبتعدت عن المكان وعينيها متحجرة عليهم تمنع سقوط دموعها

فهي القوية التي لاتبكي أبدا

لاتعرف الى أين تتجه في هذه البلدة التي شعرت بها فجأة ضيقة جداً

ضيقة لا تتسع لصرختها .....

لا تتسع لوجعها ..

ظلت تجري وتجري وكأنها تهرب من العالم كله

ظلـــت تجري وهي تخطـــو بخطوات واســـعة راجيـــة أن تبتعد قدر المستطاع . .

حتى وصلت الى البحر. .

حتى إنتهت الأرض وكأنها قد وصلت لنهاية الدنيا

نظرت للبحر و تسمرت عيناها به

كان عقلها لا يريد أن يفكر ..... لا يريد أن يتذكر

تسمرت كتمثال حجري مستندة على صخرة تطل على شاطئ البحر وكأنها تتمنى إختلاطها بجزيئاته

ولكن رغماً عنها تذكرت المشهد فصرخت من الألم الذي إعتصرها

إنه ألم شديد لا نجاة منه إلا بالموت

فيا ترى ماذا يقول الآن للأخرى؟؟

هل يقول لها أحبك لا تتركيني أرجوكِ. .

هل يقول لها أنتِ كل حياتي ومستقبلي ويقبل يدها

أم يقول لها لا تحملي هماً لتلك البلهاء الأخرى التي تعتقد أني أحبها وأفكر فيها فلقد كنت اخدعها واتسلي بحبها .. هي مجرد فتاة ساذجة

إن من يحب حقا لا يرى في الوجود أحداً آخر غير شريك حياته

إن من يحب حقا لا يخون أبداً.....

هذه أول مرة تشعر فيها بألم الحياة .....

أول مرة تذقه ولم تتخيل أن مثلها يذقه قط

وكان هذا اسواء إحساس ذاقته طوال حياتها

إنه سم علقم بطئ يسري بجسدها الآن

إنه سم موجع مؤلم ليس رحيماً حتى ليقتلها سريعاً

إنه يتلذذ بألمها فقط وهي تترجاه أن يُسكت ضجيج هذا القلب الثائر ويوقف دقاته للأبد لترتاح

كانت تحبه ....

لقد كان يتحدث بكل صدق .... أو هكذا إعتقدت هي

لم تكن عيناه تكذبان حين قالها ..... أو هكذا رأته هي

لم تكن كلماته تدل على أى كذب في مشاعره ... أو هكذا شعرت هي

إنها هي البلهاء إذن

لم تكن بحاجة لهذا الحب حين آتاها

لقد باغتها في وقت لم تكن تفكر فيه

وها هي الآن تتمنى لو لم يدق قلبها من الأساس ولم تراه يوما

كادت دمعة تنزل من عينيها إلا أنها أختفت وكأنها إنسحبت لداخل عينيها مرة أخرى:

- (لا لن أبكي .. لن ابكي)

فأنا القوية التي لا تبكي

خدعت!!! ربما .... فأنا ككل البشر يمكن خداعي

أحبه!!! نعم كنت .... ولكني ســـأعرف كيف أمحو آثار حبه المزيف الفاسد

يحبني !!!.....

لأول مـــرة تتوقف عند هذه الإجابة الـــتي كانت حتى دقائق بديهيه بنعم

نظرت للموجه الشديدة التي ضربت الصخرة التي تقف تستند عليها وكأنها تثور معها وترد على سؤالها ومع أفكارها المتلاحقة كالأمواج

إن الصخـــرة ليســـت على شـــاطئ رملـــي ولكنها تنتهـــي الى عمق البحـــر..... نظـــرت خلفهـــا للمدينـــة الصاخبة..

إضاءات ملونة كاذبة تخفي حقائق سوداء موجعة

روائح ذكية تخدع الأنوف

كلمات ..... ضحكات ..... همسات

كلها كاذبة

عادت للنظر الى البحر الهائج بأمواجه كضربات قلبها تحت قدمبها

شعرت أنها تسمع صوته يتردد مع الأمواج

ويقول لها:

- (أقسم لكِ أني أحبك اكثر من نفسي)

ووجهه ينعكس علي صفحة الماء تدريجياً

فصرخت هي:

- (لا .... انت مع أخرى فقد رأيتك .... من ينســـى حبي لدقيقة لا يستحقه ..... من يوجع قلبي فلا يجب أن ينتظر منه الحب ..... فالحب هو أول من يموت مع طعن القلب بالخيانة)
- (أُحبك)
- (الخيانة لا تغتفر ... ببســـاطة لأنها لا تُنسى .. لن أضع نفسي في إختيار بيني وبين أُخري ... إخترها هي ... فأنا لا أريدك منذ اليوم .... لا أريد من يوجعني ..... ولا أريد من يجرحني .... ولا أحبك)
- (أُحبك.....)
- (وانا اكرهك ..عقابـــك إذن أن تُحرم مني ... تكفيك هي .... لقـــد إخترتها .... ولا عودة من إختياراتك .... فأنا أنثى لا تقبل المقارنة لاني اعرف من انا)

مدت يدهـــا وتناولت صخرة صغيرة ضربت بهـــا الماء بعنف لتغوص في وجهه الذي كان يحدثها فتلاشـــت صورته تدريجياً من صفحة الماء المتأرجحة

تمنت لو إرتمت في أحضان البحر ليحميها من المدينة خلفها

تمنت لو إرتضى أن يخبئها في قاعه للأبد ويحتويها

ولكنها نظرت مرة أخرى خلفها للمدينة الصاخبة ومعاركها

وأخذت نفســـاً عميقاً مملوء بيود البحر ونزلـــت عن الصخرة عائدة للمدينة مبتســـمة لتكمل معركتها مع الحياة

ولكنها سلكت طريقاً آخر غير هذا المؤدي للمطعم الكلاسيكي

طريقا ملئ بالنجاح والاضواء

القصة السابعة عشرة

نور

كانت نور تجلـــس بغرفتها كما تعودت تضع الســـماعات في أذنها تســـتمع لكتاب مسجل صوتياً

سمعت نداءاً بصوت تحبه فإبتسمت

تحسســـت طريقها للنافذة وهي تبتسم وفتحتها وأوقفت الصوت من أذنها لتســـتمع في هذا التوقيت لهذا العصفور الذي طالما لم يخلف معها موعـــده ووعده معها .. يناديها كأنه على عهده معها منذ مدة

يقف على شـــباكها ويشدو لها في نفس الســـاعة تقريبا ومع نفس رائحـــة هواء الصباح البكر كأنه يحكي لها قصة لا يفهمها إلا هو وحده

ولكن يا ترى كيف يبدو شكل العصفور أصلاً؟

ماشكله؟

ما ألوانه؟

لقد ولدت كفيفة لم تر النور مرة .. ورغم ذلك أسموها نور

سمعت من الخارج صوت أمها يحدث أختها الأصغر منها بعام واحد:

- (مها خدي أختـــك معاكي النهارده النادي تغير جو وتخرج ... يا حبيبتي علطول محبوســـه في أوضتها ... نفسي أحس إنها بتستمتع ولو يوم من عمرها)

فردت مها:

- (حاضـــر بس إتعودنا إنها بتخرج معانا أنا وإنتي وبابا ..... المرة دي أنا خارجة مع صاحباتي .... ماعرفش بقى هتنبسط ولا لأ .. هي ما تعرفهمش وأول مرة هشيل مسؤليتها لوحدي)

- (علشـــان كده عايزاها تخرج معاكي النهارده.... تحس إنها بنت زي كل البنات .... إنها مش أقل من أي بنت في سنها .... عايزاها تحس بجو البنات وخروجهم وطباعهم)

قالت مها بعد تفكير:

- (عندك حق)

طالما كرهت نور تلك النبرة بالحسرة والشفقة من الناس

سمعت أصوات أقدام تقترب والباب يفتح

دخلت مها الغرفة وقالت:

- (صباح الخير يا نور .... يلا عندنا خروجة النهارده يا جميل للنادي)

- (مهـــا بلاش .... هضايقك وأبوظ خروجتك مع صاحباتك .... مش هتســـتمتعي وأنا معاكي .... إستمتعي إنتي بوقتك النهارده)

فإقتربت منها أختها وقالت:

- (طيب تعالي النهارده وجربيني في الخروج يمكن تنبسطي .... لو ما عجبكيش خروجة أصحابي ما تكرريهاش يا ستي)

إبتسمت وهي تنظر تجاه الأرض

فقالت مها ضاحكة:

- (هغير هدوم النوم وأرجع أختارلك أجمل فستان ألبسهولك)

نزلت ممسكة يد أختها حتى فتحت لها باب السيارة

هي لاتعلم شكل السيارات ولا تستطيع تخيل هذا حتى

كل مـــا تعرفه هو أنها باب يفتح فتدخـــل منه لتجد مقعداً تجلس عليه ثم تشعر بهواء شديد يلامس وجهها كمؤشر أن هذا الشئ المسمى سيارة يطير بمقعدها من مكان لآخر بسرعة

كانت تتمنى لو تعرف شـــكل هذا الشئ وكيف يتحرك ولكن لا أحد يمتلك وقتاً وصبراً لوصف تلك التفاهات لها وهي أيضاً لم تعد تســـأل لكي لا تثقل على أحد

وصلتا الى النادي

شمت رائحة زهور جميلة

شعرت بآشعة الشمس الدافئة

تخطو على أعشاب لينة تشعر بها تحت قدميها

سمعت صراخ أطفال بسعادة وصوت مياه

من الواضح أنها تمر بمكان به مسبح للترفيه

ولكن ماهو المسبح ...؟؟؟ وكيف يسبح الإنسان اصلاً؟؟؟؟

كانت تسمع ضحكات الأطفال قهقهتهم وتبتسم حتى وصلتا لمنضدة تجلس عليها صديقات مها

أصوات كثيرة غريبة لا تعرف منهن أحداً

جلست بجانب أختها وهي تسمع همساً من إحدى الفتيات

- (هي نور عميه؟.. يا حرام أول مرة أشوفها ... دي جميلة أوي(

ظلـــوا يتحدثون عن الألـــوان التي لاتعرف هـــي معناها وعن أسماء وقصص لبنات أخـــرى لا تعرفهم

- (واااااو .... بجد فظيع اللون ده عليكي ياهايدي)
- (ميرسي ياقمر .. إنتِ الجميلة)

مالت نور علي مها

- (مين هايدي؟؟؟؟؟)
- (صاحبتي)

فسمعت صوتاً آخر يقول:

- (والبنطلون ده يجنن عالشـــيميز اللي إنتِ لابساه يا ناني .. جايباه منـــين؟ أنا دايخه على الموديل ده مش لاقياه)
- (لا ده براند من بره يا حُبي)

فمالت نور على أختها:

- (براند ده شكله إيه يا مها؟)
- (قصدها ماركة عالمية يا نور)

فعادت تحاول الإستماع للبنات لربما تستطع الإختلاط في حوارهم

- (شفتوا ميادة إتخطبت لمين؟)
- (مين مين؟)
- (للولد إللي شـــفناه معاها في الكلية ... هي ما قالتش لحد ..... مخبيه الهانم ... خايفه تتحســـد .... بس أنا عرفت بقى بطريقتي)
- (هههههه على إيه مش حلو أصلاً ... أومال لو ماكنش تخين)
- (وإنتِ يا ماجي هاتسافري لندن والا خلاص كنسلتي)
- (تؤتؤ .... دادي عنده شـــغل وهروح تركيا معاه .... هحجز شاليه هناك بيشوف البسفور يجنن)

فقالت نور بصوت منخفض:

- (مها إيه البسفور ده؟؟؟)

سمعت تنهيده ملل من مها ولم ترد عليها هذة المرة فنظرت نور للأرض:

- (تيجوا ناخد كام واحدة سيلفي بقى للفيس وإنستجرام)

شـــعرت بحركه حولها وسمعت أصوات ســـحب الكراسي وأصواتهم يبتعدون وأختها معهم

لحظة هدوء ... طالت لدقائق من الهدوء .... وهي وحيدة

من ماجي التي ستسافر لتركيا ؟؟؟؟ وميادة التي لم تعلن خطبتها ؟؟؟؟؟ وهايدي ذات اللـــون الجميل؟؟؟؟ وناني صاحبـــة البنطلون البراند من الخارج؟؟؟؟

كانت حزينة أكثر

شعرت حقا بعجزها

ربما مع والديها الأمر مختلف فهي مع أناس تعرفهم وتشـــعر بالألفة معهم

إنها تشـــعر كم هي مختلفة عن البنات الأخريات وأنها حقا ليســـت مثلهم وبينها وبينهم مسافة

إنها لا تستطيع الإندماج أبداً معهم .. لا تفهم الألوان ولا الموضة ولا حتى لغتهم فهي حتى لا تعرف ما هي «السلفي» التي يأخذونها الآن لزوم أشياء أخرى لم تفهمها أيضاً

تري هل هي نوع من المشروبات أو الماكولات!!!!!

قالت لنفسها:

-(لا لا لن أسأل مها ستغضب من أسئلتي.... لقد ملت مني)

سمعت صوتاً تعرفه جيدا

نفس العصفور صديقها

معقول

إنها الآن بعيدة عن المنزل

ربما كل العصافير لهم نفس الصوت

تكرر النداء

حاسة السمع لدى الكفيف أقوى بمراحل من المبصر

فقامت خلف الصوت

مها مشغولة في أخذ سلفي .. ربما هو شئ عليه زحام أو طابور إنتظار

مشت في الحديقة مادة ذراعيها أمامها وهي تتحسس خطاها بأقدامها وصوت العصفور يحركها .. يطير فوق رأســـها يسبقها بخطوة منتظمة لا يبتعد أو يقترب مع حركتها

إنه يســـوقها لمكان ما إذن ... وهي تســـتجيب لمرشدها ... صديقها الوحيد

إصتدمت بشئ ما على الأرض فسقطت فوقه

كان ما سقطت فوقه نور هو شخص يجلس مفترشاً للحشائش

فقالت بخجل:

- (آسفه .. آسفه ..... جداً)

فقال بصراخ وغضب:

- (إيييييه ..... عميه إنتِ؟؟.... والا مش شايفاني يعني)
- (أيوه ..... أنا آسفه ..... أنا فعلا عميه .... أنا آسفه)

تغيرت نبرته بعد لحظة صمت لنبرة آسفة خجولة:

- (أنا اللي آسف والله ... ماقصدش أجرحك ... إسمك إيه؟)
- (نور.....)
- (وأنا شادي)

مد يده ليساعدها على النهوض والإعتدال في الجلسة على الحشائش وقال لها:

- (نور إنتي هنا لوحدك؟)
- (لا معايا أختي وأصحابها بس راحوا يجيبوا حاجات .. وكنت لوحدي فقمت أتمشى .... وأنت)
- (لا أنا لوىحدي ... دايما لوحدي)
- (إحساس مزعج إني أفضل دايما محتاجة لحد وما أقدرش أبقى لوحدي ... لأني عميه ما أقدرش أشوف حاجة ولا أقدرش أتخيل حاجة ولا حتى أعرف شكلي .... دايما محتاجة حد معايا يحميني ويرشدني ..... وأهو لما مشيت خطوات لوحدي كنت هأذيك..... عايشة دايما في الظلام .... بخاف حتى أسأل علشان ما أضايقش حد بأسئلتي الكتير .... ما أعرفش الأبيض من الأسود ..... ما أعرفش النهار من الليل عايشة مسجونة في الظلام)
- (بالعكس إنتِ عايشة حرة .... مش مقيدة بحدود المشهد إللي هتفرضه عيونك على عقلك ..... خيالك حر حرية مطلقة

مثلاً لو أنا قلتلك السماء زرقاء وجميلة إخترعي لون وسميه أزرق ولوني بيه السماء وإتخيليها

يمكن الأزرق الحقيقي ماكنش هيعجبك أصلاً و أزرقك أجمل وعلى ذوقك .... فاهماني

إنتي مش مقيدة بأي قيد .. عندك إحساس قوي ودي نعمة فقدها كتير من البشر وفي حاجات الأحسن ما تشوفيهاش وتفضلي تتخيليها صدقيني مش كل إللي هتشوفيه جميل أحيانا بيكون بشع جداً .... إستمتعي بخيالك وحريتك وظلامك)

- (امممم فلسفة جميلة لإقناعي بالظلام .. حاسة إني هقولك لو لم أكن كفيفة لوددت أن أكون كفيفة)

ضحك ثم نام على ظهره على الحشـــائش ووضع ذراعيه تحت رأسه ونظر للسماء وقال:

- (لكل حاجة ما بنحبهاش فلسفة تانية تخلينا نحبها .... إيه رأيك نطبق فلسفتي عملي ونشوف النتيجه!(

- (إزاي؟)

- (هغمض عيني وأقولك مواصفات المكان إللي إحنا فيه وإنتِ إتخيلي بمنتهى الحرية وزودي على وصفي وأوصفيلي....

وإللـــي هتوصفيه إنتِ هتخيله وأنا مغمض.... لحد ما نوصل وإحنا مغمضين لصورة مشـــتركة وأقولك بصراحة أحلى من الواقع والا لأ)

قالت بفرحة:

- (إتفقنا طبعا .... بس لو سألت عن شكل حاجة مش هتزهق مني؟)

- (وعد ... لأ ... إسألي عن أي حاجة)

- (طيب يلا إبدأ)

غمض عيونه وأخذ نفساً وتنهد ثم قال:

- (شوفي يا ستي .... إحنا في آخر النادي تقريباً مكان هادي بعيد عن الناس والدوشـــة .. الأرض خضراء مفروشة بالحشائش .... مدي إيدك على الأرض هتحسي بطولها وشكلها)

كانت ماتزال تجلس أرضا فتحسست بيدها الأرض بجانبها وأكمل وهو مستمر بإغماض عينيه:

- (أشـــعة الشـــمس الدافئة تغمرنا بخيوط ذهبية عايم جواها نقط بتلمـــع زي بودرة الذهب نازلة من بين غصون الشـــجر الخضراء زي خيوط من نور إرفعي إيدك لفوق وحســـي بالشـــمس ودفاها وجمالها)

فتح عيناً واحدة ونظر إليها فرآها تبتسم وتمد يدها لأعلى وتشعر بآشعة الشمس تغمرها فأغمض عينيه مرة أخرى وأكمل:

- (في مجموعة ورد قريبة مننا أوي .... خدي نفس عميق وحسي بريحتهم .... ها!!!)
- (الله ..... شميت ريحتهم فعلاً .... إنت هايل يا شادي (

فمد يده بجانبه وإقتطف وردة ووضعها داخل كفها فإبتسمت أكثر:

- (في فراشة طايرة فوق الورد حالاً)
- (شادي ... بسمع كلمة فراشة كتير بس كل إللي أعرفه إنها موجودة عند الزهور .... ما أعرفش شكلها أو حتى دي طائر صغير والا مجرد حشرة وبخاف أسأل حد يقول عليا غبية أو يضحك عليا)
- (لا طبعا مش غبيه ..... أنا عرفتها علشان شفتها فلازم حد يوصفها بالتفصيل علشان تتخيليها .... نور دي حشرة بس جميلة أوي ليها جناحين ملونين زي ورقتين الورد لما بتفردهم بتختفي كحشرة وبتبقى كإنها ورقتين ورد سابحين في الهوا فوق الورد بشكل جميل أوي)

قاطعته:

- (أجنحتها زهري في موف وأطرافها أحمر وأصفر كأنهم إترسمو بفرشاة فنان رقيقة بس الأزرق طاغي عليها .. أنا إتخيلتها كده حالاً)
- (برافو يا نور ... أنا شفتها زي ما وصفتيها تمام هي في الحقيقة ما كنتش ملونة على فكرة كانت بيضاء)
- (شادي في صوت قوي ... وصوت مية ... إيه ده؟؟؟)
- (على فكرة ... إحنا قريبين من النيل وفي لانش عدى حالاً فعلاً)

فقالت بعد إحتراف العبة:

- (يبقى نضيف للمشـــهد النيل الأزرق وأشعة الشمس على سطح الميه زي اللؤلؤ العايم بتنعكس وكأنها شموس صغيرة بتســـبح)
- (إنتِ خلتيني أشوف فعلاً إللي إنتِ بتوصفيه .... وصدقيني بنوصل لصورة أحلى من الحقيقة بخيالك)

فقالت بفرحة طفل:

- (أنا أول مرة أقدر أتخيل بالشكل ده أنا فرحانة أووووي)

فكرت للحظة وأكملت:

- (ممكن أطلب طلب غريب بس عايزه أستغل إن في حد قادر يوصفلي حلو ومش زهقان مني .. ها ممكن أطلب؟)
- (هههههه طبعا أطلبي ده إحنا عشرة عشر دقائق أهو)
- (هههههههه أوصفلي شكلي .... أول مرة أطلب ده من حد)
- (مممم إنتِ خمرية شـــعرك ناعم طويل أسود وفي خصل هربانة منه بشكل جميل مع نسيم الهواء .. لابسة فستان أبيض طويل قطن... ورموشـــك كثيفة مدارية عيونك المغمضة .. متوســـطة الطول وبشرتك زي الأطفال شفايفك مدوره .... إبتسامتك جميلة أوي بتظهر معاها نغزتين على خـــدودك .... خدودك دلوقتِ حمرا زي وردتين وواضح جداً إنك مكســـوفة بس أنا مش بعاكس على فكرة أنا بوصف وإنتِ إللي جميلة بقى مش مشـــكلتي أنا)

فضحكـــت ونظرت للجهـــة الأخرى وهي تخفـــي وجهها بخجل عنه وقالت:

- (أنا مبسوطه أوي إني قابلتك شـــكرا ليك ... أول مرة أحس إني إنســـانة قادرة تشوف وتتخيل وحد حاســـس بيا بيعاملني إني إنسانة

طبيعية مش مثيرة للشـــفقة .... إدتني من وقتك ومن نظرك ومن خيالك .. ربنا يديم نعمة النظر عليك ياشادي وماتحسش بالعجز إللي بحس بيه أبداً)

سمعته يتنهد وهو يقول:

- (عجز .... ياااااه .... ثلاث حروف .... بس معناهم وحش وبيجرح أوي .... بكره العجز ..... بكره إن حد يسلب من حد الحياة والمبرر كلمة من ٣ حروف .....»عجز«)
- (إنت إنسان عندك رحمة وجميل أوي)
- (جميل !!!!)

فجأه سمعت صراخ طفل بجانبهم برعب

- (يا ماماااااااااا!!!)

قفزت لا إراديـــاً من الأرض بعد صرخة الطفـــل ووقفت وهي تبحث بيدها يميناً ويســـاراً بخوف في الفراغ

- (شادي في إيه؟؟ شادي إنت فين؟؟؟؟ إيه إللي حصل)

حتى أمسكته فتعلقت في ذراعه خوفاً كطفلة تتشبث بوالدها فهدأها ولكن بصوت متوتر مرعوب

- (مفيـــش ... مفيش حاجـــة .... إهدي يا نور ..... طفل شـــاف حاجـــة..... حاجـــة .... و .... ووخاف منهـــا ..... إنت عارفة الأطفـــال بقى .... أنا .... أنا همشـــي من هنا بســـرعة في ناس مقربين على صوت الطفل .... أنا آسف لازم أمشي مع السلامة ... مع السلامة)

إستوقفته مستعطفة وهي تصرخ:

- (خدني معاك ماتسيبنيش أرجوك .... شادي ... ياشادي)

وقف لحظة تفكير سريعة ثم جذبها من يدها وهو يركض فإبتسمت وجرت في يده .. قال ونفسه يتقطع من الركض:

– (طيب .... تعالي هوديكي مكان أهدى)

أمســـكت في كفه وهي تركض معه وتسمع صوت ماء النيل يقترب أكثر وبـــكاء الطفل وهو يتحدث بكلمات غـــير مفهومه يبتعد كانت تشعر لأول مرة بالحرية

بأنها تجد نفسها ..... تجد شادي

تشـــعر بالأمان المطلق ويدها في يد هذا الشـــاب الـــذي بالكاد تعرف إسمه.. وتتحدث إليه منذ أقل من ســـــاعة

ولكنها تعرف روحه وكأنها عاشـــت معه من قبل عمراً في زمن ومكان آخران

من هذا الذي قابلته للمرة الأولى فأصبحت لا تريد أن تبعد عنه .... تشـــعر أنها وجدته بعد ضياع ســـنين طويلة .... لا تشعر معه بغربة أو أنه شخص غريب .... بل تشعر بأنها تود أن تعاتبه كيف تركها طوال تلك الســـنوات بدونه كان قلبها ينبض بالسعادة تريد أن تنصهر يدها داخل كفه الى الأبد.....

هذا الذي إحتواها في دقائق بمنتهى الحنان والرقة والإنسانية

شعرت معه بما لم تشعر به أبداً طوال عمرها

ربما هي بالنسبة إليه مجرد فتاة كفيفة يشعر تجاهها بالشفقة

ولكنها تعلقت به وشـــعرت معه بتلك الدقة الجميلة التي خرجت من قلبها لأول مرة بإسمه»شادي»

كان إحساســـها بأشعة الشـــمس يختفي تدريجياً وتشـــعر بالبرودة ولكنهما مـــــا زالا في مكان مفتوح

فقالت بعد أن إستقرا على مقعد خشبي

- (إحنا فين يا شادي؟ لسه بدري على الليل .... بس حاسه إن مفيش شمس)

- (هاااه ..... إحنا في مكان عالنيل جوه النادي فيه كراسي خشب لونها بني بس مكسره ..... الأرض طوب مرصوص وشوية كراكيب ومراجيح مكسره مركونة في آخر النادي .... خليط من زرقة النيل وخضار الزرع والورد المتبعتر أدامي عالشمال بس الشمس غابت فعلاً فجأة وسحاب كثيف معدي .... الجو إتغير فجأة)

قطع كلامه قائلاً بحدة وغضب:

- (نور .... إزاي جيت معايا للمكان المهجور ده .... مش يمكن أنا شخص مؤذي؟ ..... أءذيك أو أخطفك ..... مايمكن خرجت بيك من النادي!!!.... غلط .... إللي عملتيه غلط .... ماتبعديش مع شخص ما تعرفيهوش إنت بتعرضي نفسك للخطر)

إبتسمت وقالت بثقة وهي تحتضن كفه بين يديها:

- (إنت خايف عليا من نفسك .... شادي أنا عميه وما أملكش إلا الإحساس .... وإحساسي بيقولي إنك مش مؤذي أبداً ومش كذاب.... أنا عمري ما حسيت إني فعلاً عايشة ومبسوطة وإنسانة إلا الدقائق إللي فاتو معاك حتى لو هتئذيني.... ما بقاش يهمني.... ما أنا عيشت طول عمري بتئذي من الناس أنا أصلاً حياتي كنت بكرهها .... أنا أعرفك من وقت بسيط بس حاسه بأمان وإحتواء معاك ... حاسه إنك حد فعلاً عارفاه أوي وعايزه أبقى معاك وبس وده إللي عملته فعلاً)

نظر لعيونها المغمضة ومسح دمعة ترقرقت من عينه:

- (هتصدقيـــني لو قلتلـــك أنا كمـــان ..... أنا كمـــان أول مرة أحس.... أحس إني فعلاً بشـــر ... مجرد من أي شرور أو حقد ... مـــن أي خوف من الناس أو كره ليهم ..... ياااااه بقالي كتير ما حستش بآدميتي وإني إنسان سعيد .... كنت متخيل الإحساس ده مش هحســـه تاني ... إنتِ فكرتيني فجأة إني أصلاً إنسان)

فقالت وهي تضم بين حاجبيها:

- (ليه كل الحزن ده في كلامك!!!!....)

كان صوته قد إختنق بالبكاء المكتوم وهو يقول:

- (مفيـــش ..... مفيش يا نور أنا همشـــي وهوصلـــك لأقرب مكان توصلي منه لأختك .... فرصة ســـعيدة أوي وإنســـي إسمي وكل إللـــي حصل وأرجوكِ ما تجيبيش ســـيرتي لحد ...)

صمتت وهي تشـــعر أن شيئاً ما قد حدث سيتســـبب بخلع قلبها ثم قالت ببكاء وهو يســـحبها للعودة:

- (إتضايقت مني!!!! ..... أنا آســـفه .... أنا فعلاً بقيت كائن لزج مزعـــج للجميع .. قاعده معاك وبتكلم كتـــير وبروح معاك في أي مكان وأنا المفروض شـــخص غريب عنك بس فعلا ماحســـتش إني ثقيلة عليك إلا حالاً أنا آســـفه)

فتوقف عن المشـــي وإســـتدار لها وقال وهو يمسح على شعرها بحنان قلما شعرت به:

- (يا خبر إنتِ تقيلة!!!.... ده إنتِ نسمة ربيع هبت فجأة في حياتي.... إنتِ دقائق من السعادة نورت آدميتي ..... نور في حاجات ما ينفعش أفهمهالك بـــس إنتِ ملاك ربنا باعتهولـــي في لحظة يأس ... أنا كنت بفكر أنتحر لحـــد لحظة ماقبلتك ووقعـــتي عليا ..... ما أقدرش أشرح أكتر للأسف)

- (طيب خليني معاك علشان خاطري ..... مها وأصحابها بيحسسوني بعجزي وإني كفيفة وببقى حزينة وزهقانة معاهم ..... أرجوك لو مش مضايقاك فعلاً خليني معاك .... واضح إن مها نسيت أصلا إني كنت معاها ومش هتفتكر إلا لو ماما سألت عليا أو حبت هي ترجع البيت ... أنا دايما عالهامش .. على هامش الجميع .... دايما أنا العميه المهملة.. كومبارس الحياة ... معاك بقيت فجأة بطلة القصة .... معاك بشوف وبتخيل ... معاك بحس وبيتحس بيا ... معاك أنا إنسانة)

كانت قد بكت مع جملتها الأخيرة فلم يكن منه الا أن إحتضنها ووضعت رأسها على صدره فقال وهو يقبل شعرها:

- (وأنا لأول مرة معاكِ إنسان)

فجأة شعرت بقطرات مياه تغمرها بكثافة فقال شادي وهو يمسك يدها:

- (نور تعالي بسرعة الدنيا بتمطر أوي)

ركضا تحت المطر وهي تجرب هذا الإحساس بالمغامرة والإنطلاق والإكتمال مع شادي ومع ركضهم كانت خطواتهم تبعثر المياه من الأرض

كانت تشعر بفرحة في خطواتها كطفل يلهو لأول مرة في المطر

حتى أنها لم تشعر بالبرد ..... ورغم سماعها صوت المياه تنزف من السماء .. ثم سمعت صوت باب يفتح ويغلق:

- (هههههههه كنت سيبتنا نلعب شوية .. المطر جميل يا شادي .. أول مرة أحس بيه كده لأني مابخرجش إلا نادراً وفي العربية)

فقال وهي تسمع صوت دواليب تفتح وتغلق:

- (بس دي سيول يا نور وخفت عليكِ تتعبي خصوصا فستانك قطن خفيـــف ..... تعالي حطـــي الجاكت ده على كتفك علشـــان فســـتانك مبلول ..... وهفتحلك دفايه حالاً علشان ما تتعبيش لحد ما تنشفي والمطر يقف)

أجلسها على أريكة وثيرة وهو يجفف لها شعرها بمنشفة فقالت:

- (هو إحنا فين؟؟؟)

فقال متردداً وكأنه إكتشف فجأة أن هناك مشكلة:

- (في كشك خشـــبي على النيل هنا في النادي ... ما تخافيش إحنا جوه النادي لســـه بس أنا آسف إني خدتك بدون تفكير أو إذن لبيتي بس والله كان هدفي علشـــان أحميكي من المطر مش أكتر أنا آسف أنا ما فكرتش وأنا بجري لهنا)

فكرت للحظات وقالت:

- (قولتلك حاســـه معاك بأمان غريب إنت مستحيل هتئذيني ..... بـــس .... هو إنت عايش في النادي!!!!؟ بيتك في النادي إزاي؟ مش فاهمه!!!!)

- (نور أنا تقريباً عايش هنا فعلاً .... بس أرجوكِ ده سر خطير ..... أنـــا ما أعرفش إزاي جبتك لهنا ..... !!!!!اه أنا عملت مصيبة بإني جيبتك هنـــا ... مصيبة ليكي ولنفســـي .... أرجوكِ ما تحكيش حاجة عن البيت ده لمخلوق .... أوعديني ... أنا إيه إللي حصلي ما بقتش بفكر)

شعرت بدفئ يملأ المكان فعلمت أنه قد أشعل المدفأة .. قالت له:

- (طيب إحكي قصتك .. وسرك مش هيطلع صدقني)

فصمت فإستطردت هي عندما طال صمته:

- (أصل محـــدش بيعيش في النادي أو ليه بيـــت في النادي وكلامك بصراحة قلقـــني عليك مش منك)

فقال أخيراً وقد بدا على صوته التوتر:

- (نـــور أنا قصتي عجيبة ..... أنا مش إنســـان جاهل .... أنا متعلم ومثقف مليش أصدقاء غير الكتب .. بشتغل عن طريق النت مترجم لأكثر من شـــركة عندي هنا كمبيوتر خـــاص فيه إنترنت .... تعالي معايا وشوفي كمية الكتب إللي عندي أضخم مكتبة في أصغر كشك في أغرب بيت .... لأسوء شخص)

أمســـك بيدها وإقتربا من المكتبة داخل الكشك الصغير وتحسست بيدها الكتب

- (شادي أرجوك فهمني إنت بقيت غامض أوي فجأة)

فكر دقائق ثم قال بتوتر:

- (نور إنتِ عرفتي ســـر محدش يعرفه أبـــداً ....زي ما إنتِ وثقتي فيا لدرجة غـــير منطقية أنا كمان هثق فيكِ وأقولك ســـري ..... تســـمعي عن المنطقة المســـكونة إللي في النادي إللـــي الكل بيخاف يقربلها ؟؟؟)

فقالت بتردد وخوف:

- (أنا باجـــي قليل مع بابا وماما وطبعا بفضل قاعدة عالكرســـي زي قطعة الديكور لحد ما بمشي بس سمعت من مها مره فعلاً إن النادي فيـــه منطقة بيطلع فيها عفريت ومحدش بيقرب منها لا العمال ولا الأعضاء وإن أكتر من حد شافه مرات وبيأكدوا وجوده .... تقريبا واحـــد ميت محروق هنـــا في النادي أو جني ســـاكن المنطقة دي ما أعرفـــش سمعت قصص كتير مختلفه عن العفريت(

فقال وهو يمسك يدها:

- (طيب هعرفك قصته بقى ..... أهو أنا العفريت ده يا ستي .... وده بقى بيتي المتواضع .... وأهلا بيكي في المنطقة المسكونة)

***

- (عايزه أختي إتصرف حضرتك أنا خايفة عليها)

كانت مهـا منفعلة جداً وباكية في غرفة مدير النادي الذي أجابها بحده:

- (أنـا بلغت على كل البوابات وأكدوا إنهـا ما خرجتش يعني جوه النادي لسـه وأكيد هنلاقيها وبعدين الغلطة غلطتك إزاي تسيبي بنت كفيفة لوحدها)

- (أنـا روحت أتصور مع أصحابي .... ولما بـدأ المطر حبيت أرجعلها ما لقيتهاش)

فقـال مطمئنا وهو يرفع سماعة الهاتـف أمامه ليبدأ محاولة أخرى لإيجادها:

- (إتطمني ..هنلاقيـــــــــ.....)

قاطعه دخول سكرتيره متوتراً:

- (يافندم النادي مقلوب والناس عاملين قلق)

- (ليه خير!!!!!!)

فقال بتوتر أشد:

- (العفريـت .... العفريت ظهر لطفل صغير النهارده دخل للمنطقة المسكونة يلعب بكورته)

فقفز من مقعده وقال بتوتر:

- (فين الطفل ده .. شاف إيه بالضبط؟؟)
- (هو بره مع والده هدخله لحضرتك)

دخل طفل عيناه متورمتان من البكاء ومعه والده فقال الطفل:

- (شفت العفريت كان في الجنينه وخد بنت وجري)

فقال المدير بحدة:

- (خد بنت!!!.... يا إبـــني بطل كذب وقول الحقيقة العفريت عمره مـــا خطف حد من الأعضاء .. من زمـــان بيظهر ومابيخطفش حد ماتطلعش إشاعات تخوف الناس)
- (والله كان معاه بنت لابســـه فستان أبيض وشدها من إيدها وجري ناحية النيل)

فقالت مها وهي تقفز من مكانها

- (أبيض!!! شعرها أسود طويل!!!!... كانت البنت دي صح؟)

وأخرجت صورة نور من هاتفها وناولت الطفل الهاتف فأجاب بفرحة وكأنه إنتصر:

- (هي دي .... هي البنت دي)

فنظرت مها للمدير بخوف:

فنظر لهم المدير مطمئنا وقال:

- (أختك هترجع ومفيش عفريت تاني أوعدكم ... أســـتاذن هعمل مشوار ضروري وأرجع فوراً مش هتأخر)

وخرج مسرعاً من مكتبه

***

في الكشك الخشبي سحبت نور يدها من يد شادي بعد جملته وإبتعدت خطوات فكادت تسقط فإقترب منها وأمسكها وهو يقول:

- (نور إنتِ خفتِ مني؟؟؟)
- (إنت مين يا شادي؟ إنت الإنسان الرقيق الجميل الحنون والا عفريت أنا مش فاهمه)

أمسك بيدها وجلس بجانبها وبدأ يحكي

- (أنـــا كنت ولـــد عادي عنده ١٥ ســـنه وحياته طبيعيـــة لحد اليوم الملعون..... حصلت حادثة كبيرة كنت مع أمي في العربية وإتقلبت بينا ..... وماتت أمـــي ..... وأنا حالتي كانت صعبة

وسببت الحادثه تهتك في عظام الوجه وبعدها كمان حروق شديدة في جســـمي ورأسي لأن العربية كانت مشـــتعلة ... تم إستئصال أجزاء من الفك وعظام الجمجمة وأجـــزاء من الجلد بعد علاج الحروق إللي سابت تشوه في وشي كمان .. يعني التشوه بقى خارجي في الشعر والجلد وداخلي في عظام الوجه)

فمدت نور يدها تجاه وجهه وهو يتحدث فأبعد وجهه وأمســـك يدها قبل أن تلمسه ليمنعها وقال لها:

- (نور بلاش تلمســـيني .... أنا بلا جفون طبيعية .... بلا شعر .... نور أنا مشوه لدرجة كبيرة .... بلا عظام طبيعية .. بلاش تتخيلي شكلي أرجوكِ)

كان يتكلم وصوته يتقطع بالبكاء فقالت له:

- (شادي وإيه قصة العفريت و بيتك إللي في النادي)
- (إكتشـــفت إني مرعب لكل الناس حتـــى لوالدي ... محدش كان بيقدر يشـــوفني الناس كلها بتشمئز من تشوهي

جدي وجدتـــي وعماتي وخالاتي .... بقيـــت كائن مخيف محدش بيشـــوفني غير لازم يصرخ برعب

والدي حب يتزوج

وكان لازم يخفي وجودي لأن أكتر من عروسة هربت منه لما شافتني علشان ماتتكررش رؤيتها ليا

ففكر يجيبني النادي هنا ويخبيني بعيد عن الناس في كشـــك قديم كان بيســـتخدم للتخزيـــن وأنا حولته بيت وفيه مكتبـــة وقررت أذاكر وأمتحن بلجان خاصة

حبسني ســـنه تقريبا وأشـــاع بين العائلة إني هربت وهو مش لاقيني وتزوج وعنـــده حاليا ٣ أبناء همـــا دول أولاده أودام الناس

وبكده خلـــص مني للأبد وعرفت عن طريق النت إنه من كام ســـنة إســـتخرج لي شـــهادة وفاة كمان وورث فلوس أمي عني

كان بيفتح الكشـــك في السر يحطلي أكل وميه زي الحيوانات مش أكتر

عارفه إحســـاس إني إتحولت لحيوان أو وحـــش .... من طفل ذكي إجتماعي ناجح ..... إحســـاس أصعب من الموت نفسه)

مدت نور يدها مرة أخرى تحاول لمس وجهه فمنعها بيده وهي تقول:

- (وبعدين حصل إيه؟؟؟)
- (خرجت مرة بعد ســـنة كســـرت الباب .. كنت هموت من الحبس وخرجت شميت نســـيم الهواء بعيد عن الحوائط الخشـــب الضيقة والرطوبة وشـــافتني ســـيدة فضلت تصرخ وتقـــول عفريت وجريت إســـتخبيت تاني في الكوخ

قصة العفريت عجبت والدي علشـــان محدش يكتشـــف وجودي وبدأ يأكـــد الفكـــرة بوجود منطقة مســـكونة وعفريت وينشـــر قصص بين الأعضاء علشان محدش يشوفني ويعرفني وإتحبست سنة كمان لحد ما نجحت في إني أخرج مرة تانية .. شـــافني طفل صرخ والإشاعة إتاكدت بأن في عفريت بيظهر كل فترة ومبقاش حد بيقرب من المنطقة بالتالي فرصة إكتشـــافي إنعدمت وهو بقى في أمان أكبر

وعلى الحال ده بقالي عشر سنين وأنا وحش محبوس .... مسخ .... الناس بيقولوا عليا العفريت ..... بقى عمري ٢٥ ســـنة وبتمني الموت في كل لحظة لأني فعلاً ليا شهادة وفاة فاضلي قبر يرضى يحتويني

إمتحنـــت وذاكرت وأخدت بكالوريوس وإشـــتغلت عـــن طريق النت مترجـــم ووالدي بيقبض الفلوس عن شـــغلي .... لحد النهارده الصبح قدرت أهرب بعد ســـنتين من الحبس هنا

قـــررت أعيش آخر يوم من عمري وأنتحر لأني كنت تعبت من حياتي كعفريت أو حيوان محبوس مخيف

يا نور أنا بقرأ كتب وأكلم الناس عن طريق النت بدون وجه .. عشر سنين عايش بدون واقع أو حياة)

فأكملت هي:

- (وقابلتني ومخفتش منك لأني شـــفت روحك مش وشـــك ..... شفت جمالك .... شفت إنسانيتك وطيبتك ولمست قلبك .... تخيلتك ملاك)

فقال باكيا:

- (نور أنا مصدر رعب لكل الناس ... الا إنتِ .... من عشر سنين إنتِ أول إنسان يكلمني ويحسسني إني بني آدم)

فأمسكت بيده ورفعت أنامله لفمها لتقبلها وتقول:

- (أنا حاســـه إني بشـــوف أكتر من كل الناس دلوقتي ..... ياااااه أول مرة أحب العما ..... العما ساعدني أشوفك ... كانت عيني هتخفي جمالك وكان يمكن أخاف من ملاك زيك .... أنا بحبك)

فقال متوتراً:

- (إيه إللي بتقوليه ده!!!)

- (شـــادي إللي بينا مش ســـاعه أو مقابلة صدفـــة ... إللي بينا قدر جمعنا.... إللي بينا خلاني أحس إني إتخلقت عميه عشانك ..... إنت قدري وأنا قدرك)

مدت يدها تجاه وجهه للمرة الثالثة فقال لها ممسكاً يدها:

- (نور أرجوكِ ماتلمسيش وشـــي ماتتخيليش شكلي أرجوكي خليني مجرد خيال جميل)

فقالت له:

- (هووششششـــش .... إنت مش خيال إنت حقيقة .... لمس وشك مش هيغير عندي إنك أجمل إنســـان قابلته .. سيبني ألمسك مش هخاف وهتفضل شـــادي أجمل إنسان عرفته وشفته بقلبي)

تـــرك يدها ويده ترتعش خوفا من أن يشـــعر بخوفها منه إن لمســـت وجهه.. نظر إليها ونزلت الدموع مـــن عينيه وهو يتابع ردة فعل وجهها وهي تتلمس وجهه المكرمش الخالي من العظام والشعر في بعض المناطق من رأســـه بأناملها الصغيرة فمسحت دموعه بيدها:

قبل يدها وهي تنزل على فمه وهي مازالت مبتسمة قال لها:

- (يـــاااااه يا نور بحبك ... أول مرة أحس إني إنســـان .... أول مرة أحـــس إني مش حيوان ولا عفريت بجد بحبـــك .... أنا طاير من الفرحة بأنك مش خايفه مني)

فأسندت رأسها على صدره فمسح على شعرها وهو يبكي وهي تقول:

- (أنـــا إللي حاســـه بفرحة لأني لاقيتك .... أنا لمســـتك وإتخيلت ملامحك كويس من كلامك ولمســـي ليك ما غيرش إحساســـي بيك .... أنا مش متخيلاك دلوقتي بشـــكل وهمي أنا عارفه حقيقة ملامحك إللي بينا مش منطقي ومش طبيعي إللي بينا حب بدأ من بداية الكون بس لقيته النهارده .... لقيت نفســـي بيك)

فقال لها محذرا:

- (هتتكسفي مني ..... هتقدميني للناس إزاي)

- (هههههه أنا عميه ... والناس دول أنا مش شـــايفاهم أصلاً شايفاك إنـــت وبس ... هنخرج وهنفتخر ببعـــض .... كفاية إنت في عيني إزاي ... هتخـــرج مـــن هنا وهنعيش .. مش مـــن حق حد حتى لو كان والدك يسلبك حياتك وممكن تصنع قناع للخروج بين الناس علشان ماتســـببش ذعر أو موقف يضايقك و شغلك من الترجمة وبالكميات دي يجيـــب دخل مادي كبير ممكن تعمـــل بيه عمليات تجميل كمان لنفسك وهتخرج وتعيش شبابك وحياتك .. إثبت إنك حي وإلغي شهادة الوفاة دي)

قاطعها صوت فتح الباب وصوت رجل دخل يقول بصراخ:

- (ماشـــاء الله ..... خرجـــت وخوفت طفل وعرضتني إني أتكشـــف وخطفت بنت وواخدها في حضنـــك كمان وحكيتلها قصتنا .... بتحب حضرتك!!!! إيـــه مابتبصش في مراية)

فقام مفزوعاً:

- (بابا .... أنا مـــا خطفتش حد وما خوفتش حد ..... أنا هعيش مش هتحبـــس من النهارده وهحب .. أيوه أنا بحب نور)

- (وأنـــا كمدير للنادي هخرج البنت دي إزاي للناس وتحكي قصتك للناس وإني بنيت سكن جوه النادي لإبني وإني سنين مخوف الناس من عفريت هو أصلاً إبني .... ويمكن أتســـجن بالتزوير لأني طلعتلك شهادة وفاة كمان وورثت ميراثك من أمك من سنة ... البنت دي لازم تموت هنا علشـــان ســـرنا ما يطلعش وآخر مرة تفكر تخرج من الكشك والا هقتلك إنت المرة الجاية)

فقال شادي بصراخ وهو يقترب منها وهي تتمسك بظهره

- (بابـــا البنت دي بحبها وبتحبني ..... مفيش قوة هتلمســـها بأذى وهنكمل حياتنا ســـوا .. وأنا إللي هحميها)

فرد بصراخ:

- (وأنا مش هعد حياتي علشـــان طيش واحد مشـــوه مجنون وواحدة عميه)

فرد بحده وهو يخبئها خلف ظهره وهي ترتعش خوفا:

- (البنت العميه دي شـــافتني .... الوحيدة إللي شافتني بجد وحسيت منها إللي ما حستهوش منك ولا من كل البشر ..... مش هتئذيها يا بابا مش هسمحلك)

فقال مهدداً:

- (لو ما بعدتش عنها هقتلكوا إنتوا الإتنين)

مشي شادي وهو يمسك بنور وأزاح والده من على الباب وهو يقول:

- (هخرج يا بابا .. هخرج للدنيا ... هخرج وهعيش مع نور .... مش هتحبس وتستغلني تاني ... مش هبقى عفريت .... وهطالب بحقي في مـــيراث أمي وهثبت إني عايش .. هعيش حر مش هتحبس ..... أنا من النهارده إنسان حر .... ومش من حقك تسلبني حياتي)

كان يتكلم وهو يخرج من الباب بالفعل يمشي في الحديقة مع ظلام الليل الذي حل وبرد الشتاء ممسكا يد نور وصرخ بأعلى صوته:

- (يانـــااااس ..... تعالوا ..... أنا العفريت .... أنا حي ... تعالوا كلكوا شـــوفوا عفريت النادي ..... أنا أهو أدامكوا .... أنا إنسان)

كانت نور ممسك بيده وسمعت صوت إصطدام معدني خلفها يأتي من الكشـــك وتلاه صوت فرقعة قوية وصرخة من شـــادي فصرخت هي الأخرى فالصوت هو صوت رصاصة إســـتقرت بجسد شادي وعاد الصوت المعدني للرنين إستعداداً لقذف الرصاصة الثانية فشعرت بشادي يحيطها بجسده في جزء من الثانية ويحتضنها بقوة رغم أنينه ليتلقى الرصاصة الثانية والتي كانت من نصيبها في جسده أيضاً

شعرت بســـائل دافئ لزج يكسو يديها وفســـتانها وشادي يسقط بين ذراعيها وتتراخى ســـاقه تحته فنزلت وهي تحيطـــه بذراعيها معه أرضاً ومع أصوات الناس تقترب منهم وصوت مها الذي ميزته جيداً وهي تنادي عليها

جلست نور على ركبتيها بجانب شادي وهي تصرخ وتبكي

- (شـــادي ما تســـيبنيش أرجـــوك ... شـــادي ما تســـيبنيش ..... محتاجالـــك... أنا ما صدقـــت لقيتـــك .... وحياتي عندك ما تســـيبنيش .... ما تســـيبنيش)

فقال وهو يجاهد لإخراج كلماته:

- (إنـــت حررتيـــني .... نور إنت فعلاً حررتيني بعد ســـنين عذاب ... كفاية إني هموت بعد ما قابلتك وعرفتك ... كفاية إني هموت في حضنـــك .... كنت الصبح بتمنى المـــوت بس ما تخيلتش إني هموت النهارده وأنا سعيد كده وسامع دقات قلبك إللي كلها حنان وحب وشـــايف دموعك علشاني أنا ..... أنا بحبك اوي)

ظلت نور تصرخ وهي تبكي ولم تعد تشعر بدقات قلبه:

- (شادي خليك معايا ... أرجوك ... أرجوك)

كان الناس قد تجمعوا حول الكشك ومنعوا المدير من الهرب

ومازالت نور على الأرض بفستانها الأبيض الملطخ بالدماء تستعطف شادي ألا يتركها وحيدة مرة أخرى بهذا العالم القاسي المخيف ولكنه لم يجب .... للأبد

ورغم الليل والظلام

سمعت صوت أنين عصفور تعرفه جيدا .....

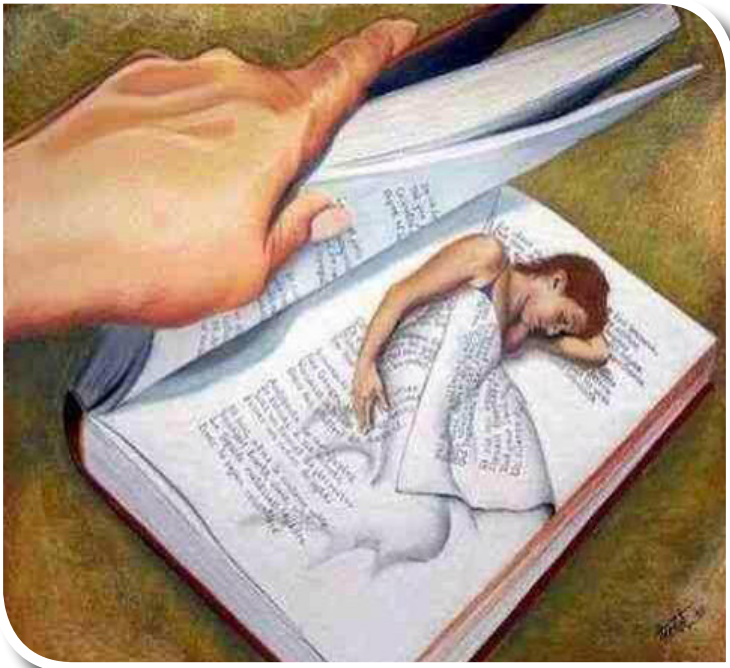

محاكمة

عُدت من العمـــل مرهقة للغاية فقد كان يوماً شـــاقاً ..... أخيراً غرفتي .....

إخترت أغنية أم كلثوم هذه ليلتي وأدرتها

لا أدري لماذا هذه الأغنيـــة بالتحديد .... ولكن وجدتني أختارها ولم أكن أدري أنها حقا ليلتي

وإستمعت للكلمات .....

هذه ليلتي وحلم حياتي

بين ماضٍ من الزمان وآتِ

الهوى أنت كله والأمان

فإملأ الكأس بالغرام وهاتِ

بعد حينٍ يبدل الحب داره

والعصافير تهجر الأوكار

وديارٌ كانت قديماً ديارا

سترانا كما نراها قفارا

سوف تلهو بنا الحياة .. وتسخر

فتعالى ... أحبك الآن أكثر

إرتديت ملابس النوم وإســـتلقيت على السرير وقرأت جزءاً من كتاب جديد إشـــتريته وأنا عائدة من عيادتي .... ثم أجريت بعض المحادثات الكتابية مع أصدقائـــي عبر الهاتف الصغير الـــذي أصبح نافذتي على العالم بعد ساعات مشحونة بالمرضى والتخدير والجراحات وأنا مستلقية في سريري الدافئ حتى غلبني النوم.....

إستيقظت .....

ولكن ليس ككل يوم

أشعر بتراخي شديد في أطرافي وكأنه قد تم تخديري وفُقت لتوي

بذلت مجهوداً لأفتح عيني..... حتى وضحت الصورة أمام عيني

أين أنا؟؟؟؟

ما هذه القاعة؟؟؟

يداي وقدماي مقيدتان بجنازير وأنا جالســـة على كرسي بملابس نومي .... لا أستطيع الحركة

لقد خُطفت إذن بعد نومي!!!

قضبان حولي؟؟؟؟؟

نعم قضبان حولي !!!!!

ماهذا؟؟؟ إنني بداخل قفص إتهام!!!!!!

ولكن بأي تهمة؟؟؟؟ ومتى أصبحت كذلك؟؟؟ وكيف؟؟؟

أمامي أرى الحضور بجلسة المحكمة كلهن من النساء

ولكن ما هذا الكوكتيل الغريب من البشر

فواحدة يدل شـــكلها على أنها أميرة قديمة من القرن ال١٨ بفستانها الواسع وأخرى بائعة متجولة بفستان أسود مستهلك

وأخرى بلباس معاصر مدني ومعها طفلة صغيره شقراء تلهوان بهاتف محمول وتضحكان

وهناك سيدتان في منتصف العمر تثرثان في الجانب الآخر من القاعة

وأخرى عجوز ثرية أريستقراطية وصبية شقراء فقيرة تتبادلان الهمس والضحك

وسيدة مسنة تجلس وحيدة بالكاد تتحرك

وهناك فتاة عمياء بفستان أبيض ملطخ بالدماء تبكي

وأخرى شاردة في الفراغ وهي تمسك بأحجار تقذفها على الأرض تارة وتمسح دموعها تارة أخرى

و فتاة أوروبية بفستان أبيض كلاسيكي وحقيبة سفر وقبعة

وشـــابة بعيون خضراء تمســـك في يدها قناعاً مطاطياً ويبدو عليها الحزن

وطبيبة ترتدي البالطو الأبيض معها طفل مريض

وأخرى جميلة ترتدي البالطو الأسود وتغطي شعرها الأشقر الكثيف تقف في آخر الغرفة ترمقني وهي تستند الى الحائط

وإمرأة شـــابة تخبئ رأسها في ظهر كرســـي أمامها وتسرق النظرات للجميع بخوف

وعصفور يطير بسقف الغرفة بفرحة كالمجنون

وهناك أســـد ليس بالصغير ولكن من الواضح أنه أليف جداً ويجلس تحت قدم إحدى الفتيـــات كالقطة ولا يرهب أياً من الحضور

والفتاة الجميلة ذات الشـــعر الطويل التي بجانبـــه تلاعبه ثم قامت لتســـير على سقف الغر.....

ما هذا إنها ليست إنسانة بل جنية

صرخت بهستيريا

- (إنتم مين؟... أنا فين؟؟؟؟ أنتوا خطفتوني إزاي من أوضتي؟؟؟؟... أنا ممكن أوديكم في داهية .... أنا لازم أرجع بيتي)

نظرن لبعضهن وقالت السيدة العجوز لهن بضحك:

- (يا جماعة دي مش عارفانا هههههههه)

فردت الجنية بغضب وهي تعقد ذراعيها:

- (طبعاً... تعرفنا إزاي!!! ..... بعد ما إتسلت بينا وبأقدارنا وسلت الناس كمان بينا ..... حرقت إللي حرقته مننا وقتلت إللي قتلته ودمرت إللي دمرته ومرضتنا ووجعت قلوبنا بخيانة وتلاعبت بمستقبلنا بسحر وغدر ويُتم ..... وبتنكر الهانم إنها تعرفنا...)

فتحت فمي بإندهاش وإتسعت عيناي

- (أنا!!!!..... إنتِ مجنونة أكيد يا أستاذة إنتِ ..... أنا قتلت وحرقت ودمرت ووجعت قلوبكم!!!! .... آآآه أنا في مستشفى المجانين بقي.... أنا أخري أخلع أسنان أو أحشيها .... أعمل جراحة وأطلع ضرس عقل .... ده لما أقول أنا كده دموية النهارده ... أنا طبيبة أسنان على فكرة مهنتي أضيع ألم الناس مش أوجعهم ..... إنتوا بتتكلموا عن هتلر تقريباً ومش واخدين بالكوا ... واضح إنكم خطفتوني بالغلط ... روحوني بقى وركزوا وإنتوا بتخطفوا المرة إللي الجاية ... فرصة سعيدة)

هنا دخلت في الحوار سيدة أريستقراطية جميلة رشيقة تحمل سيجاراً بين أصابعها وباليد الأخرى أعادت شعرها للخلف وكانت قد إنتهت لتوها من ثرثرتها مع السيدة البدينة التي بجانبها

- (أووووف ..ماتضيعـــوش وقتها ووقتنـــا في رغي عندي ميعاد برنامج عالهـــوا ياجماعة راعـــوا الوقت أرجوكم أنا مشـــغولة احنا نحكي قصصنـــا وهي هتعرفنا)

لحظة واحدة ..

تذكرتهم..

مستحيييييل .. نعم انهم هن ..

هل سيحاكمونني حقاً كما قالوا ....!!!

فجأة إتضحت الصورة وإكتملت رغم أني مازلت لا أريد التصديق

إنهـــم بطلات قصصي الأخـــيرة قد خرجوا من صفحـــات الكتاب أو خطفونـــي أنا لداخل الصفحـــات .... لا ادري حقا ما الذي يحدث لي

فهل القضبان أمامي مجرد سطور الورق!!!!

تجولت بينهن ببصري ..

نعم انهم هن ..

وكشريط عرض سينمائي سردوا قصصهن علي التوالي.. واصغيت ..

بداية بالجنية.....ونهاية بنور الكفيفة

***

- (إيـــه الجنان ده .... ده هزار بايـــخ .... إنتوا إيه بجد؟؟ إنتوا مش حقيقة!!!!..... مستحيل)

قلتهـــا لهم بصراخ في محاولـــة مني لرفض الفكـــرة .. ولكن أنا من تخيلتهـــم بنفس الملامح والملابس والشـــخصيات واللهجات .. و ها هم أمام عيني يتجســـدون .. قلت برعب وأنا أنظر إليهم وهم يستمعون إلي صامتين وقد قررت الاستســـلام لما يحدث

- (طيب .... هتحاكموني على إيه؟)

ردت الفتاة ذات القناع المطاطي بغضب:

- (مش هنتكلم كتير هنبدأ المحاكمة بالدور يا جماعه ..... وإللي هتدير المحاكمة الست مصريه هي أكبرنا سناً)

نظرت إليهم وأنا أحاول إستيعاب ما أنا فيه

انني متهمه حقاً !!!!!!!

جلسن في القاعة أمامي متراصيين منتظمين وجلست الست مصريه بجانب القفص الذي أنا مكبلة به عم الصمت

وبدأت المحاكمة.....

نظرت الست مصريه للحضور الصامتن وأنا بجانبها في القفص مكبلة بالجنازير وقالت:

- (بما إني أنا إللي هنظم الجلسة يبقى هخلي نفسي للآخر .... وهنتكلم بترتيب جلوسنا)

وأشارت بإصبعها للفتاة ذات العيون الخضراء الحزينة فإقتربت ممسكة قناعها المطاطي بيدها وقالت:

- (أنا كان نفسي أعيش سعيده .... لاء .... كان نفسي بس في أمان ... كنت مستخبيه ورا القناع وبمثل إني عجوزة ولاغيه شبابي وسعادتي علشان الأمان ... وإنت إستكترتيه عليا .... حطيتي في طريقي الشاب اللص إللي مالوش قلب ولا ضمير .... خلتيني أتعلق بيه من دون شباب العالم .... وخليتيه يقتلني كمان ... حرام عليكي ... يعني ولا عيشت فرحانة بشبابي ولا أعيش عجوزه متطمنه .... ليه عملتي كده فيا .... ليه كل كمية القسوة إللي حطتيها عليا دي ... كنت مستنيه بس لحظة فرح .... يوم جميل

يمر في حياتي ... حد يحبني ويحميني .... حد يخليني أقلع القناع وأنا مش خايفة من الناس .... كان نفســـي يكون هو الأمان مش الغـــدر .... ويوم ما قررت أخلع القناع خليتيه يقتلني وبدم بارد ... ليه مش من حقي أعيش!!!)

فقلت كمن حل الاحجيه بفرحة:

- (إنت بطلة قصـــة ما بعد النهاية .... اه والله صح .....شـــكلك إتخيلته كـــده بالضبط....)

لاحظت عبوســـهم من فرحتي ففـــيرت نغمة صوتـــي لأرضيهم فوراً وأتماشـــى مع جدية الموقف بالنســـبة لهن

- (مممم..... بصي هقولك... هو أنا بكتب قصة..... يعني إنت مجرد بطلة قصة ... أنا آسفة يعني إنت بالنسبه ليا وهم.... خيال.. وكان كل قصدي أقول إن مش كل إنســـان ظالم بيشـــعر بالذنب بعدها مهما كانت جريمته بشـــعة بالعكـــس بينتهي من جريمته ويكمل حياته بـــبرود..... وهو ده ما بعد النهاية إللي أقصده..... مش كل الأشرار نهايتهم وحشة .... ومش كل الطيبين نهاياتهم سعيدة .... ومش كل الضمائر حية ..

وبعدين في إيدي يا ستي سهله ... مممممم ..... هنقول إن الشاب كان طيب حبيتيه وفاكرك عجوزة ولما ســـافرتوا وعرف الحقيقة حبك وإتجوزك وبقيتوا أسعد إتنين .... أول ما تروحوني هعدل في قصتك ولا تزعلي نفسك .... سهله ... مبسوطة يا قمر)

إنفرجت أسارير الفتاة وقالت لي بفرحة:

- (ياريت....)

وعادت لمقعدها فأشارت الســـت مصرية للتالية فقامت وتقدمت فتاة ترتدي بنطلون جينز وتيشيرت قطني.. تمسك صبية شقراء وتحتضنها

فقلت بلهفه كمن قال «وجدتها»:

- (من غير ما تتكلموا ... إنتـــوا أكيد أبطال قصة صبية الدار ... ودي نهله)

فقالت الشابة مقاطعة لي بعصبية:

- (إنتِ دمرتي نفســـيتي .... خلتيني أذي مشاعر طفلة يتيمة بحاجه بسيطة جداً كانت في إيدي أنفذها بمنتهى السهولة .... وما تموتش وهي حزينة بسببي ... إنتِ كتبتِ قصتي ومشيتي وسيبتيني أنا أعيش طول عمري في قهر وتأنيب ضمير ووجع قلب على نهله الطفلة إللي محدش حس بيها ونفذلها حتى طلب بســيط زي بســاطتها .... اليتم لوحده وجع ... حرام عليكي .. نظرتها ما بتروحش من عيني جمله واحده هتكتبيها وتقدري تخليني اعملها حساب فيسبوك قبل ماامشي.. لكن قررتي اني انشغل واكسل ببساطه وماهمكيش عذابي)

وإســـتدارت وضمت نهله لصدرها وهي تمســـح على شـــعرها وتبكي وتهمـــس لها «ســـامحيني» فقلت وأنا آخذ نفســـاً عميقاً

- (يا حبيبـــتي إنتوا قصة ... مجرد قصة مفيـــش نهله ماتت صحيح بس في آلاف الأطفال الأيتام وأطفال الشوارع وأطفال في أُسر مهملة قاســـية بيمرضوا ويغتصبـــوا وبيموتوا كل يـــوم .... بيموتوا من الضـــرب والجوع والقهر والظلم .... بيموتوا وناقصهم حضن حنين أو ناقصهـــم نطق كلمة ماما أو بابـــا ..... علي الأقل نهله ماتت بمرض طبيعي وحاســـه إن ناقصها مجرد حساب عالفيسبوك .... الحقيقه أبشع صدقيني من القصة بمراحل ... إنتوا أرحم من الواقع أوي.... يمكن حد يقرأ قصتك إنتِ ونهله فياخد باله من طفل يتيم ويحاول يرسم على شفايفه سعادة ويراعي طلباته البسيطة من غير إســـتعلاء..... لو خرجتي ليوم واحد من بين السطور وشفتي الواقع هترجعي جري تســـتخبي جوه صفحات قصتك صدقيني لانها ارحم)

ظهر على ملامحها الأسى من كلامي ومسحت على شعر نهله وعادت لتجلس على كرسيها صامتة تفكر

شعرت بفخر لإسكات غضبها دون حيلة كاذبة كبطلة ما بعد النهاية وأنا أقول لنفسي:

- (فعلتها)

فتدخلت الطبيبة ذات البالطو الأبيض قائلة بدفاع:

- (يا جماعه خلينا منصفين .... طيب ما أنا الدكتورة خلتني أقابل أدهـــم وهو بردو طفـــل يتيم زي نهله ... بس خلـــت حياتي وحياته أجمـــل ... أنا أم محرومة من الإبن وهو إبـــن محروم من الأم .... مش كل نهاياتنا كانت ســـيئة ومأســـوية .. خلونا نقول كلمة حق)

فقالت الست مصرية بابتسامة :

- (دافعي عنها مانتوا دكاتره زي بعض ..كده ثلاثه إقتنعوا بقصتهم تقريباً وراضيين .. بس لسه باقي كتير)

- (لأ أربعة ... أنا كمان راضية)

قالتها الأميرة ذات التاج بصوت عالي

فضحكت وقلت لها:

- (ياااه عصفور الأمـــيرة ..... اه صحيح ليكِ حق ما إنتِ الوحيدة فيهم إللي نهايتك وقصتك كلها ســـعادة وحب صادق .... كنتِ بتبيعي عطور في الســـوق بقيتي أميرة والأمير بيعشـــقك ومخلص والسحر إتفك كمان وعايشـــة مع إبنك وحبيبك وعصفورك)

فردت علي مترجية:

- (بس ليا طلب ... ياريت جزء بقى ثاني أروح فيه للملك والساحره العجوزة وأكيدهم وأغيظهم بإني فكيت السحر أنا وحبيبي وعايشين

سـعداء رغم إن العصفور المسحور مات بصي عايزاهم متغازين كده ومش طايقين نفسهم)

فعقدت حاجبي وأنا أقول لها:

- (طيب أقعدي بقى بدل ما أعملك جزء تاني فعلاً وأخترعلك مصيبة زي إخواتك الغلابة دول أو أقولك ..... هخلي الأمير يتجوز عليكِ ..... بطلي شغل صعاليك بقى ده إنتِ بقيتِ أميرة يا بنتي)

فضحكت وقالت:

- (لا وعلى إيه ... كفاية كده ... فل قصتي على كده .... مش عايره حاجه تانية ..رضا)

- (إنتِ شكلك أميرة من بولاق مش من القرن الثامن عشر)

فضجكت الست مصرية وقالت من بين قهقهتها:

- (إنتوا يا إللي عليكوا الدور؟ يلا مش عايزين تقولوا حاجه .....)

قالتها موجهة كلامها لدولت هانم وقمر الشقراء فردت دولت:

- (أنا لاء خالص ميرسي أوي على قصتي .... قمر كمان أكيد رأيها زيي .... حاسين إننا كسبنا من قصتنا مش خسرنا وخدنا درس عمرنا بالرضا عن مرحلتنا العمرية وظروفنا ..... مش كده ياقمر)

- (اه طبعا .... يا ختيييي على خشونة الركب والتعب .... ربنا يشفيكي يا ست دولت والله ... أنا كده راضية أوي والنبي)

فإنقبضت عضلات وجه دولت هانم وهي تسمع قمر وقالت وهي تمسكها من أذنها:

- (ستين مرة أقول غيري أسلوب كلامك ده يا بنت إنتِ بتعصبيني بجد ..... أوووووووه)

فإبتسمت لهم الست مصرية وأشارت:

- (يا بنتي .... إنتِ اللي عليكِ الدور تعالي)

وأشارت بإصبعها لشابة ترتدي بالطو أسود فاتنة شقراء هادئة عرفت علي الفور بدون تفكير من ملامحها وملابسها أنها بطلة الرقصة الأخيرة

نظرت إلي بعتاب وقالت:

- (أنا بقـــى أكتر بطلة إتهاجمت أكيد من الناس .... رغم ألمي وأنا بشـــوف حبي بيموت في قلب زوجي وبإيدي ... رغم عذابي بإني بلغي أي ذكـــرى ليا جميلـــة معاه أو بمنع دعوة جميلـــة ينطقها ليا وأنا في قبري ..... بحرم نفســـي حتى من حزنه عليا ....المهم سعادته هو.... إلا إن الناس أكيد قررت إني إتصرفت غلط.... وإني أنانية وقررت اوجعه بالخيانه اكتر من الموت والفراق .... وإني أذيته أكتر ما نفعته.... أنا نفســـي ما بقتش عارفة إنتِ كتبتيني كإنســـانة طيبة والا شـــريرة... أنا مش عارفة أنـــا مذنبة والا ضحية .. اللي عملته صح ولا غلط؟؟)

وإنفجرت في البكاء فتقدمت نحوها الست مصرية لتحتضنها وتقبلها على رأسها وهي تقول:

- (يا ضنايا يا بنتي بس إهدي ..إهدي)

فقلت لها:

- (طيبة ... أكيد كنت أقصد تكوني طيبة جدا .. ومثال للتضحية كمان ... بس في حاجه إسمها وجهات نظر .... نســـبة وتناســـب بين المكسب والخســـارة .... يمكن حســـاباتي في كتابتك كانت إنـــك هتضحي بذكراكي وإنتِ ميتة في ســـبيل ســـعادة حبيبك ومســـتقبله من بعدك برفع شعار لن يضير الشاة سلخها بعد ذبحها .... أكيد هيتعذب من فكرة إنك خونتيه بس بالضبط زي عمليه

البتر ... بنتألم شـــوية في الأول بس بنوصل للعلاج الشافي والسعادة في المستقبل... وجهة النظر التانية وتحترم بردو في إنك إتصرفتي غلط .... يمكن لأنه شـــعر بالخيانة وده إحساس بيوجع أكتر من الفراق نفسه ..... وان كان من حقه مشاركتك الألم زي السعادة وإنك أنانية لأنك إحتفظتي بآلامك بعيد عنه ومن حقه كحبيب وزوج يشـــاركك ويهون عليكي ..... بس أكيد إنتِ مش شخصية شـــريرة أنا شـــخصياً حبيتك جداً وتعاطفت معـــاكِ يا أطيب قلب كتبت عنه)

فقالت الست مصرية بتأثر:

- (اه والله دي غلبانـــه ... والنبي يا دكتورة إبقي إعمليلها جزء تاني تخف فيه وخدي الشاب إللي رقص معاها ده لجوزها ويقوله الحقيقة ويرجعوا لبعض .... ويا دار ما دخلك شر ... خراب البيوت وحش يا بنتي ....)

حركت رأسي موافقة .... وأنا أعض على أسناني وأقول لنفسي:

- (ما أقـــدرش أرفض ..... ما إنتوا خاطفـــني بقى ... وبقيت تحت أمركـــوا .... شـــويه وهتقولولي قومي إعمليلنـــا صينية مكرونة بالباشـــاميل و لا حلة محشي)

أقتربت شابة أخرى متوترة وكانت مترددة تنظر للجميع بخوف تجر ساقيها من الرعب

صوتها كان مختنقاً وهي تحاول الكلام

فقالت الست مصرية بنغمة صوت كأنها تحدث طفلة لتزيل خوفها:

- (سمـــي بالرحمن يا بنتي .... محدش غريب .... إتكلمي .... مش إنتِ إللي كنتِ في قصة خلف النافذة بردو)

أومأت برأسها إيجاباً وقالت بتوتر:

- (أنـــا مش عارفة أنـــا مين؟.... أنا مـــش عارفة أنا مت و لا لســـه عايشة.... أنا عشت في عزلة لحد ما فقدت الحد الفاصل بين الموت والحيـــاة ... بقيت خايفة من الناس والناس خايفة مني ... حكمتي عليا بالموت وأنا لسه حيه ... أو بالحياة وأنا ميتة .... أنا مش عارفة أتعامل مع الناس ... أنا تعبت بجد .... هو أنا اللي مت في الشارع في حادثة العربية ... والا أنا غيرها ومستخبية مستنية الموت ... أنا عمري ما هســـامحك لأنك إنتِ إللي وصلتيني للحال دي من العزلة)

نظرت للأرض وأنا أقول:

- (إنتِ خليتيني أعيط وأنا بكتبك ..... كنت قاصدة أخلي عزلتلك بدون حد فاصل بين الموت والحياة وسيبت النهايتين مفتوحين لخيال القارئ .... كل إللي كنت أقصده إن العزلة نوع من أنواع الموت... العزلة في مكان بتخليه مـــا يفرقش عن القبر .... مش كل واحد هيقابل مشـــكلة أو عايز يهرب من المواجهـــه هيختار العزلة لأن دي هتكون نهايته .... صدقيني إختيارك للعزله في البيت القديم نفسه يخلـــي مفيش فرق بين الموت والحياة بالنســـبة لـــك .. ودي كل الرســـالة من القصة لكل حد في مشـــكلة ومش عايز يواجه وفضل الهـــروب ... بس أعتقد إن الأقرب للتصديق إن الجثة إللي ماتت في حادثة العربية كانـــت إنتِ لكنك ما أدركتيش إنك ميتة ومازلتِ مستنية الموت .... أنا آســـفة إني وجعتك ووجعت قلوب إللي قرؤا قصتك ووجعتي قلبي أنا كمان بيكي .... بجد آســـفة)

نظـــرت لي بصمت وحـــزن وإســـتدارت وعادت للصـــف الخلفي من المقاعد.... وعيني لا تفارقها ثم مســـحت دمعة فرت من عيني رغماً عني

تقدمت واحدة منهن ... وكانت فتاة أوروبية ستينية بفستان أبيض وقبعة وتحمل بيدها شنطة ســـفر ... لا تتركها ... أشك أنها خاوية

أصلاً كما تظهر في أفلام السينما تهتز بمنتهي السهوله .... لا أحتاج للتفكير لأعرف أنها بطلة موعد القطار

- (أهلاً بأذكى بطلاتي)

عضت شفتها السفلي وهي تقول:

- (بعد ما خدعني الطبيب الشـــاب علشان يسلي وقته ساعه!!!!!..... صدقيني إبتســـامتي في آخر القصة كانت علشـــان تخبي إحساسي بالإهانه والإنكسار ..... إني إتحولت مجرد تسلية ... أكيد كنت أتمنى تخلي السيناريو مختلف)

- (إزاي)

- (إن مثلا يكون طريقنا بعد ما تمر الســـاعة نفس الطريق.... وإني أكمل معاه طريقه ونركب القطار سوا ..... ليه خليتيه مخادع.... بعد ما أظهرتيه بقمة الشهامة في البداية ... ليه صدمتيني.. واضح انك مش بتحبي الخير لغيرك وانا عايزاكي تتحاكمي فعلا)

قاطعتها بحدة مدافعة:

- (علشان الصدمات موجودة في الحياة ....

علشان مش مشكلتي الحب ....

ماكانش ده هدفي .... كان هدفي الأمل ...

هدفي مـــن قصتك إن مهما حصلنا من مشـــاكل وصدمات نخرج منتصرين على نفســـنا بالأمل وندور دايما على المكســـب وسط الخسارة ونفرح بيه ... مهما ضحكت علينا الدنيا نبتســـم وندور على المكاســـب حتى لو كان مجرد مكســـب معنوي .... إنتِ كنتي الكســـبانة بالأمل والثقة إللي خدتيهم منه .... هو كسب ساعة تسليه وإنتِ كسبتِ عمر مشحون بالأمل وإن مهما فاتك شـــئ فالأجمل أكيد منتظرك.....

إبتســـامتك مســـتحيل تكون مـــش حقيقـــة ... لأنك الكســـبانة)

إبتسمت بفخر ثم عادت لمكانها وهي شاردة فيما قلته وبدا عليها انها قررت التنازل عن المحاكمه في قصتها

تنهدت أنا بعد تلك المرافعة الإنفعالية الناجحه فقالت ســـيدة مسنه كانت تجلس مبتسمه

- (الحب اعتقـــد كان كله مختزل في قصتي «قصة العُمر» قصتي انا ورأفت .... التضحيه .. الوفاء.. الاخلاص ... الحب وكل المعاني الجميلـــة في قصتي انا ... اعتقد اني انا اكتركم حظ بحبيبي الي ضحي علشاني وانا كمان رفضت اني افضل فوق الارض لحظه بعده)

فإقتربت نور الكفيفة ذات الفستان الأبيض الملوث بالدماء وهي تستند وتتحسس الحائط لتصل أمام قفص إتهامي وهي تقول:

- (وليـــه انا ماكنتـــش زيك ....حـــرام عليكي ليـــه مامتش مع شـــادي..... حرقتي قلبي عليه .... إديتيـــني أمل إني أعيش حياة جميلة وأعيش الحب لساعات ... هو أنا مش من حقي أعيش!!!!!... ليه مش من حقي أحب وأتحب!!!!... وهو كمان ليه مش من حقه يعيش!!!!! ... إديتيلي الحب وخدتيه تاني .... إديتيلي حبيب عمري لســـاعات وحكمتي عليه بالموت ... ليـــه لازم أعيش بتمنى الموت... ليه مش من حقي أحس بالســـعادة ... إنـــتي إديتيني الحياة بطعم المـــوت ....بتمنى أموت كل لحظة ... بتمنى أفضل جنب شـــادي حتى لو في قبره ... قابلتـــه جزء من يوم ....بس أخدت حب عمر بحاله بطيبته ورقته وحنانه ... وحكمتي عليه بالإعدام .... وعليا)

- (نور .... شادي إنسان مقهور من الأب الظالم .... للأسف هو كان بيتمنـــى الموت .... ومن قبل ما يشـــوفك كان بيتمناه ..... هو إتحققتله أمنيته في قصتكم لأنه عايش في جحيم فعلاً مش من تشوه شـــكله لاء من تشوه قلب أبوه القاســـي الأناني الديكتاتور .. والده

كان قاتلـــه أصلاً .... من قبل الرصاصة بســـنين ..... بس على الأقل لقيتوا بعض وحسيتوا إنكوا بتعرفوا تحبوا وتتحبوا ....وإنت مشكلتك أقل منه وهتقدري تكملي وتعيشي لأن على الأقل أسرتك مش مشوهة وبتعاملك كإنسانة ومصيرك في إيدك لوحدك .... وهتلاقي الحب تاني .... هو مشـــكلته كانت أكبر صدقيني .... هو ميت وهو حي والأحســـن كان إني أحسم أمره بالموت ... لأن شر والده لعنه مش هتسيبه مع ظروفه)

تسندت وهي تعود لكرسيها باكية وقالت وهي تبتعد:

- (مش مســـامحاكي أبداً حرام عليكي.... هو حب عمري إللي عمره ســـاعات .... وخدتيه مني بجره من قلمك بمنتهى البساطة وبقرار خدتيه وإنت ماســـكة كوباية نســـكافية .... قررتي ببساطه تقتلي حب إتولد بيننا ... وتقتلينا .. انا مش مســـامحاكي وبكرهك)

تدخلت الست مصرية محاولة أن تغير الجو العام والدموع التي ظهرت على وجوه معظم البطلات بعد كلام نور المؤثر وهي تشـــير للســـيدتين الجالستان متقابلتان:

- (وحدوا الله يا جماعه ..... وانتي يا نور اســـتهدي بالله واقعدي .. مين فيكوا إللي هتبـــدأ؟ .... قصتكم واحدة إنتوا الإتنين)

- (أكيد أنا)

قالتها بحده الســـيدة الأريســـتقراطية الجميلة وهي ترتدي فستاناً قصيراً وجذاءً بكعب عالـــي يظهر أنوثتها

فردت الســـيدة البدينة شيري وهي تحاول أن تجد بين الشحوم خصراً تضع فيه يدها وتتحدث بعصبيه:

- (وليه أكيد يعني؟؟؟ ... ليه ما أكونش أنا مثلا .... إنت شـــايفة نفسك أحسن مني ... لاء لاء .... إفتكري كويس زمان يا حبيبتي

كنتي بتستلفي مني بلوزاتي ... لو لا القصة الزفت دي ماكنتش قابلتك ولا كرهت حياتي .. شايفه نفسك أحسن مني ليه؟)

فنظرت لها جيجي وقالت بصوت أعلى:

- (وأنا أحسن في إيه!!!!! ... في وحدتي ولا شيبتي إللي بداريها بالصبغات .... إنتِ كفاية عليكي لمة أولادك حواليكي وزوجك ... إنما أنا سرقني شغلي وبقيت وحيدة .. ده أنا إللي كرهت اليوم إللي قابلني بيكي في القصه الزفت دي ... كنت فخورة بنفسي وحاسه بنجاحي ومن يوم ما شفتك وأنا مكتئبة وحزينة ومش طايقة نفسي وحاسه إني عجزت)

فدفعتها شيري من كتفها وهي تقول لها بصراخ:

- (انتي بتحسديني كمان ...يا شيخة كده ... ده إنتِ فلوسك وعربيتك وموبايلك وشهرتك بعيالي وأبوهم .. هتحسديني على إيه .... يا ريتني أنا إللي عندي نص إللي عندك وخديهم مش عايزاهم ..... بس أبقى في جسمك ورشاقتك ولبسك وحياتك وشبابك ... حاسه بالحسرة على إيه ..... على قرفي وريحة البصل والتوم والمواعين ... ولا الكوافير إللي نسيت عنوانه)

فقلت أنا لهم بصوت أعلى لأنهي مشاجرتهم التي وصلت لمد الأيدي:

- (بس .... بس..... إيييييييه إنتوا جايين تتخانقوا !!!..... في الشارع إحنا والا في محكمة !!!....ما تتكلمي يا ست مصرية .... إنتوا خاطفني علشان أحوش بينكم ... لا ده تهريج)

فقالت الست مصرية بصوت يغلبه العقل:

- (بس يا شيري إنتِ وجيجي .. إنتوا مش صغيرين على كده .... يلا إستهدوا بالله وإقعدوا)

فقلت أنا لهم:

- (إسمحولي إنتوا بالذات أحاكمكم أنا .... إنتوا الإتنين غلط.... النجـــاح وتحقيق الذات ما يمنعـــوش أبدًا من تكوين أســـرة وأولاد وعمر الأســـرة الســـوية والأولاد مـــا يمنعوا الزوجة مـــن إنها تكون إنسانة ناجحة ليها إسم وكيان ..... بالعكس أولاد المرأة الناجحة بيتشـــرفوا بيها وبتكون قدوة ليهم في النجاح وبيكونوا على قدر أعلى من الثقافة والعلم والطاقة الإيجابية لأن ربتهم إنســـانة ليها مبادئ وفكر وكيان مســـتقل ..... إنتوا كانت كلمة السر بينكم التوازن والرضا...التوازن بين تحقيق الذات والإهتمام بالنفس والمظهر .... وبين تكوين الأسرة والتربية الصالحة والحياة الإجتماعية .... لو في توازن ورضـــا.... عمر ماهيكون في أي خلاف بينكم)

فقالت الست مصرية وهي تهز رأسها بتفهم:

- (أيوه ... والنبي الست مالهاش إلا بيت جوزها ... أومال إيه)

فنظرت لها وقلت بتعجب:

- (ده إللي فهمتيه يا حاجه مصرية من كلامي!!!!..... شوفيلنا إللي بعده خلينا نخلص من الليلة دي إنتوا تعبتوني بجد)

فإقتربت فتاة جميلة بفستان بسيط راقي .... ونظرت لحجر في يدها وهي تقول:

- (أنا خسرت حبيبي على إيدك ... خسرت حب عمري .... خسرت قصه حب كنت شايفاها الأمل لبكره ..... خسرت كلمة بحبك.... في لحظـــة خليتيه خاين .... في لحظة وريتيني بعنيا خيانته .. هديتي كل حاجه ... شـــيلتي حبه من قلبي .... كأنها عملية إستئصال ورم عملتيها بمشـــرطك بمنتهى القسوة والبساطة ... شيلتي من قلبي بضربة حجر على الميه ذكريات وحب وحنين ومشـــاعر كانت كل حياتي ... ببساطة .. انتي قاسيه ... قاسيه اوي)

- (وليه ما أنقذش حياتك ومستقبلك من شاب خاين أخلاقه مش كويسة .. إسم قصتك السم المنجي ... الخيانة سم .... بس إنت كان نجاة ليك من حبيب خاين ... إستئصلت حبه الخبيث من قلبك بسرعة وبدري ... مشرطي يمكن قاسي وبيوجع بس هتتوجعي يومين وتعيشي بصحة وسعاده باقي أيامك ... لكن لو فضل حبه في قلبك هتموتي بحبه المسموم بالخيانة ... هيقولك بحبك ويلف ويقولها لغيرك ... صدقيني إنت محظوظة إني شيلت حبه منك بس بضربة حجر في الميه ... لأنك إنت القوية مش انا القاسيه)

هزت رأسها وهي مبتسمة إبتسامة إقتناع بها مراره لم تخفها

فمدت الست مصرية كفها بصمت فطارت عصفورة ووقفت في كفها فقلت متعجبة:

- (..إيه ده ... إيه العصفورة دي؟)

فردت الجنية بعصبية بعد إلتزام الصمت من أول الجلسة

- (يااااااااه .... إنت ناسية خارج القضبان .... بطلة القصة العصفورة .. أهه بطلتك)

فقهقهت بسخرية مصطنعة وعصبية في آن:

- (يعني هتصوصو و لا إيه وبعدين ما أنا خليتها هربت من قفصها وخدت حريتها)

فقالت الجنية بتحدٍ كأن بيننا ثأراً قديماً وعداوة لا أدري لها سبباً:

- (أنا هترجم بينكم .. أنا بفهم لغة الحيوانات وهترجم للأسد كمان لأن عليه الدور بعدها)

- (صوصوصو.....صو....صوصو.....)

- (بتقـــول إنها تعبت بعد هروبها ... لأنها كانت واخدة على الأكل النظيـــف الجاهز والميه المقطرة المعقمه وبعد الهروب تعبت...)

فقلت بإنفعال:

- (الحرية ليها تمن وليها ســـعادة ما يعرفهاش إلا الأحرار .... إللي بيحب العبودية لو حريته جاتله من الســـما هيســـتخبى منها .... الحرية تمنها مش بسيط وإللي بيوصلها عمره ما بيفرط فيها حتى لو هيخســـر حياته .... الحرية أغلى ... أغلـــى أوووي من مجرد أكل وميه ... يوم حرية بمية ســـنة جوه قفص عبودية)

طارت العصفورة وإستقرت على كرسي وإقترب الأسد وهو يزأر زئيراً متواصلاً وأنا في إنتظار ترجمة الجنية

فقالت الجنية:

- (إنـــت حولتيه من أســـد لقطة .... زعلان طبعا مـــن وضعه .... كقطـــة أليفة خايـــف ومذعور من الناس .. بســـبب قصتك)

- (أنـــا إديته وإديت الحل لكل إللي في حالتـــه في قصتي .... هو إللي مُصر يفضل قطة ... محدش بيساعد حد في إكتشاف نفسه .... إكتشاف النفس هو أصعب بحث ممكن حد يقوم بيه في حياته ولازم يقوم بيه بنفسه ... محتاج مجهود شاق ... وإللي مش هيتعب علشان يكتشف حقيقته وكينونته يبقى ما يستاهلش يعرف قوته فين .... كل واحد فينا لو إعتمد على غـــيره يقوله إيه أفضل صفاته يبقى هيفضل جاهل بقوته ليوم ما يموت ... وإللي هينجح في إكتشـــاف ذاته وكينونته ومصدر قوته كسب حياته فعلاً وعاش)

عاد الأسد يهز ذيله في إتجاه أحد الفتيات ليتمسح بقدمها وهو مصر على كونه قطة

فقالت الجنية بعصبية

- (أنـــا بقـــى لوحـــدي بيهـــم كلهـــم .... عمري ما هســـامحك وبكرهك..... بكرهك أوي .... دفعتيني لوحدي كل التمن ... الحطاب يختار وأتأذى أنـــا .... يطلع هو ندل ومش قد الدفاع عن إختيـــاره .... وبردو أدفع أنا التمن ..... ليه؟.... علشـــان حبيت وبضحي؟؟؟ .... ملعون الحب إللي ضيعني ... إللي خلاني أســـيب دنيتي ومملكـــتي ..... وأتعمي .. وبعدين أتحـــرق كمان !!!!.... فين عقابه هو!!!! .... لعب بيا وبمشـــاعري ومشـــي لحياته ودنيته عادي.... وأنـــا ذنبي إيه؟ ... دخلتيني دنيته ليـــه؟..... أنا بكرهك)

وجدت نفسي أخيراً أفهم سبب نظرات كرهها لي:

- (أنا آســـفة يمكن فعلاً إنتِ إللي دفعـــتي التمن لوحدك ..... دفعتي تمن أخطاؤه هو .... بس ما تنكريش إنها أخطائك إنتِ كمان.... إنـــتِ كمان أخطأتي بالموافقة .... كنـــتِ عارفه إنه بيختار غلط والحـــب بيعميه ويعميكي .... كنتي عارفه إنك نوع مختلف ..... وحياتك مختلفـــة وأرضكم مختلفـــة ومســـتحيل تتقابلوا ..... ووافقتيـــه!!!!!!.... يمكن أنا كمان كنت أتمنـــى يطلع راجل أد إختياراته أو على الأقل يشاركك العقاب .. بس إنتِ كده الأحسن منه صدقيني .... إنتِ رمز التضحية .... حظك إنك حبيتي واحد مايســـتهالش حبك بس دوقتي الحب بجد إللي هو ما عرفهوش... غيرك عايـــش وماقدرش يذوقه ويضحي .. إنتِ كجنية حبيتي حب حقيقي إحنا كبشر فعلاً مانعرفهوش)

فقالت بعصبية وهي ترتفع بجسدها عن الأرض وعيناها تبرق وشعرها يتطاير حولها

- (عمري ما هســـامحك .... وهتمنى تدوقي إللـــي إحنا دقناه ... إنتِ بتعشـــقي النهايـــات الحزينة والمأســـاوية ... طيب إحنا كان ذنبا إيه؟.... ليه ما تنهيش قصصنا بنهايات ســـعيدة!!!... ليه إنتِ

تتحكمي فينا بمزاجك وأهوائك الشـــخصية)

هنا قامت البائعة المتجولة بفستانها الأسود من على الأرض معترضة

- (لا معلش يـــا .....يا اللهم إحفظنا إنتِ .... ما أنا نهايتي كانت ســـعيدة .... إبني خف ... وكبر وإتجوز وخلف وجه يزورني ..... وخلتني أقوى من الشيطان و أتمسك بربنا وبشرفي .... أنا مبسوطة بقصـــتي ونهايتي بصراحة وشـــايفة إنك تتكلمي عن نفســـك ما تتكلميش عننا كلنا)

فقالت الست مصرية وهي تضيق عينيها:

- (إنتي مين يابنتي؟ معلش العتب عالنظر)
- (أنا بائعة الورد ياحاجه؟ تؤمريني بأي خدمة)
- (لا ياحبيبـــتي .... معلش يابنـــتي ... أصلي تعبت .... المحاكمة طولـــت وأنا صحتي على قـــدي .... كح كح كـــح .... ومعاد دوا الضغـــط فات ..... يا بختـــك بإبنك إللي زارك آخر قصتك بأولاده ومراته ..... أنا بقى عشـــت وحيدة بتمنى الموت يمكن ألاقي مـــع الأموات صحبـــه .... دي خلـــت كل أولادي يبعدوا عني ... غربتيهم.... وقســـيت قلوبهم .... ما كنـــش هيحصل حاجه لو خليتِ فيهم حد حنين ولا بيزورني .... عايشـــه بحلم بحد يكتشف موتي بسرعة)

فقاطعتها:

- (يا ســـت مصرية ... إنتِ بالذات شخصية مزدوجة بالنسبة ليا .... إنت قصة قصيرة هنا .... وفصل كامل وشخصية أساسية مهمه في رواية «هادي» إللي بكتبها حالياً وابنك هيرجع لك.... ليكي قصة طويلة ده مجرد مشـــهد بسيط منها .... بس أنا عايزه أعرف بقى آخرة إللي بيحصلي ده إيه .... وأنا ليه بدافع عن نفســـي أصلاً ...

إنتوا من صناعة إيديا وعقلي وأنا حرة فيكم على فكرة ...)

أكملت وأنا أشد القيود التي على يدي بعصبية وقد نفذ صبري:

- (خلصوني بقى أنا إللي بجد زهقت منكم .... عايزين مني إيه؟.... عايزه أروح بيتي بقى ....)

فقالت الجنية:

- (هنحكم عليكي بإنك تعيشي قصصنا قصة قصة .. الحزينة والسعيدة.... الرومانسية والمأساوية ... تجربي مشاعرنا بنفسك . . . .)

فقلت صارخة:

- (لاْ .... لا طبعا .. إنتِ بتهرجي ..... قال أعيش قصصكم قال)

فردت نور بغضب وهي تتقدم:

- (أنا موافقة .. إشمعنا إنتِ إتحكمتي فينا وقررتي تعذبينا ... إحنا بقى إللي هنتحكم فيكي المرة دي وفي مصيرك)

فقالت فتاة القناع بتحفز

- (برافو يابنات ..... تذوق اللي عملته فينا)

- (لا إنتوا مجانين .. إنتوا مجرد خيال و وهم ... أنا الحقيقة ... خرجوني ....

خرجووووووووني ....

إنتوا هتخلوا الدنيا تلعب بيا أنا ..... لاااااااا .... أنا لازم أخرج من هنا ..... حالاً .....

سـوف تلهـو بنـا الحيـاة وتسـخر فتعـال أحبـك الآن أكثـر
هـل فى ليلتـي خيـال الندامـى والنواسـي عانـق الخيـام
وتسـاق مـن خاطـري الأحـلام وأحبـوا وأسـكروا الأيـام
ربِ مـن أيـن للزمـان صبـاه إن غدونـا وصبحـه ومسـاه
لـن يـرى الحـب بعدنا مـن حـداه نحن ليـل الهوى ونحـن ضحاه
ملـؤا قلبـي شـوق وملـؤا كيـاني هـذه ليلتـي فقـف يازمـاني
سـوف تلهـو بنـا الحيـاة وتسـخر فتعـال أحبـك الآن أكثـر

قمت مفزوعة من نومي على كلمات الأغنية التي لم تنتهِ بعد
فنظرت حولي....
إنها غرفتي.... وها هو ابني اياد نائم كالملاك ..

قمت وأنا أضع كفي على قلبي الذي يدق بكل عنف وأنفاسي المتقطعة وإتجهت بسرعة نحو هذا الكتاب الذي جمعت فيه قصصي القصيرة التي كنت قد كتبتهم تحت إسم « ماقبل الهستريا «.... وقلت لنفسي:

– (لا دول عصر الهستريا ذاته)

وتأكدت بنفسي من وجودهم محبوسين خلف السطور وأحكمت غلق الغلاف وأنا أبتسم إبتسامة نصر

د / سالي محمد مجدي

الكنزي
ALKANZY